سِلسلة الفكر العَربي

٣

# نظراتٌ إسلاميَّة في الإشتراكية الثوريَّة

للدكتور مَعروف الدّواليبي

دَار الكتاب الجَديد

# الفهرست

# نظرات إسلاميّة
# في الإشتراكية الثوريّة

الطبعة الاولى

١٩٦٥

# أخطار الفراغ الفكري العلمي

# في عالمنا العربي

# أمام مشكلات الحياة وحلولها

محاضرة ألقيت في المركز الثقافي العام لوزارة المعارف في جدة في ٢٠/٤/١٣٨٥ هـ الموافق ١٧/٨/١٩٦٥ م.

بسم اللـه الرحمن الرحيم

**١ ــ تجتاح عالمنا العربي في هذه الايــام محنة هي مــن اخطر المحــن التي مرت عليه في تــاريخه ؛ فان لــم يتداركها رجال الفكر والعلم بالدرس والتمحيص ، فلــن تلبث ان تقضي في آن واحد :**

اولا ــ على جميع آماله في النشوء والارتقاء •

وثانيا ــ على جميع مقوماته كعالم واحد يحرص على البقــاء •

**٢ ــ وان قوام هذه المحنة هو ذلك الفراغ الفكــري العلمي في «نظرتنا الى الحياة ومشكلاتها وحلولها» ، وترك الامور تائهة تسيرها الاحــداث ومن وراءها من الاغراب واصحاب المذاهب والآراء ، وخاصة بعــد أن انتهى عهــد الاستعمار ، واصبح مــن الواجب علينا جميعا أن نأخــذ**

باسباب الحياة ، لنحتل فيها مكاننا بعز ، ولنؤدي فيها رسالتنا الانسانية بعلم ، مبدعين غير مقلدين ، ومستقلين غير مسخرين ولا تابعين .

٣ ـ وان ذلك الفراغ الفكري العلمي في نظرتنا الى الحياة ، ومشكلاتها ، وحلولها المنبثقة من واقعنا ، خاصة وقد أخذنا نطرق ابواب الحياة من جديد ، أوجب علينا أن نمد بأبصارنا الى نظرتين قائمتين من نظرات الاغيار الى حلول مشكلات الحياة لديهم ، وهما :

ـ نظرة المذهب الحر في التنمية ، وهو المعروف بالمذهب الرأسمالي ،

ـ ونظرة المذهب الماركسي في « تغيير المجتمع » ، وهو المعروف بالاشتراكية العلمية الثورية .

٤ ـ وكلا النظرتين الى فلسفة الحياة ومشكلاتها وحلولها هما نظرتان ماديتان نشأتا في الغرب ،

وانطلقتا الواحدة بعد الاخرى من ظروف خاصة ،

وكانتا كما وجدتا في الاصل جوابا على اوضاع خاصة ، وعلاجا لمشكلات خاصة ،

ونشأتا أيضا في مجتمع غير مجتمعنا ، وفي أرض غير

أرضنا ، مما لم يبق لهما اليوم أية قيمة علمية كما وجدتا في الاصل ، حتى ولو لاستمرار العمل بهما في تلك المناطق من العالم التي وجدتا فيها ولحل مشكلاتها ، ما لم يتفاعلا فيما بينهما، وكذلك كان الى حد ما، وكان الفضل للمذهب الحر في البدء في هذا التفاعل الخير بما فرضه أخيرا من علاقات انسانية ، وما اوجبه من خدمات اجتماعية .

٥ ـ ولكن المذهبين على الرغم من التفاعل فيما بينهما الى حد ما ، ظلا مذهبين خاصين بالمجتمعات المادية الصرفة ، وقصر كل منهما عن أن يكون الوسيلة الوحيدة لحل المشكلات الانسانية في كل مكان، وخاصة المذهب الماركسي في جميع مسمياته الذي لم ينجح في حل المشكلات الانسانية كما تصورها ، حتى في البقاع التي نشأ وترعرع فيها ، وذلك كما ظهر على السنة المسؤولين السوفييت انفسهم دون الاستشهاد باقوال المنكرين عليهم . فقد اراد الماركسيون من اشتراكيتهم العلمية الثورية احلال السلام في الارض التي يحكمون فيها ، وتأمين الرخاء لابنائها ، وزيادة بواعث الانتاج في نفوس العمال والفلاحين ؛ ولكن الوقائع جاءت مصادمة للنظريات :

ـ فقد أصبح الخصام فيما بين الاشتراكيين أنفسهم

اشد منه فيما بينهم وبين اخصامهم كما هو مشاهد اليوم فيما بين السوفييت وبين الصين الشيوعية ، وفيما بين غيرهم من البلاد الاشتراكية الثورية ،

ــ ولم يستطع المواطن الاشتراكي ان يلحق بمستوى المواطن في البلاد الحرة ،

ــ كما تدهور الانتاج بشكل مخيف في جميع البلاد الاشتراكية ، وذلك لانعدام عامل الحافز الشخصي الموجود في النظام الحر كما اعلنه الرئيس السوفييتي الجديد اليكسي كوسيغين عقب استلامه في اواخر السنة الفائتة السلطات في قصر الكرملين .

٦ ــ وقد كان من قصة المذهب الحر انه انطلق كالصاروخ في اوروبة الحديثة ، وذلك في ظل ثورتها الصناعية ، وفي ظل العبودية لرجال الاقطاع . وكان الاقطاع نظاما تقليديا يقوم عليه المجتمع ، وله مفهوم قانوني واجب الاتباع :

ــ وهو اولا تحريم ملكية الارض الا لاشراف الدولة ولكنيستها ، واعتبار هؤلاء وحدهم المواطنين الممتازين بهذا الحق .

ـ وثانيا تبعية الفــلاح للارض كجزء منهــا وكعبد لمالكها ، وذلك لاعتبار الفلاح في نظام الاقطاع قنا مــن اقنان الارض لا يملك حريته ، فضلا عن عدم حقه بموجب ذلك النظام في تملك شيء من الارض التي يخدمها ويقيم عليهــا .

وهذا ما ارث الاحقاد ضد رجال الاقطاع : من مدنيين ورجال دين ، بل وضد النظام نفسه وضد الكنيسة نفسها ، لانه لــم يعد يتمتع بحقوق المواطن غير الاقطاعيين ، ودون بقية المواطنين .

٧ ـ ولذلك كانت الحرية للفرد هي الشعار الاساسي في المذهب الحر، ذلك الشعار الذي الهب شعور الجماهير، واتخذ من تحقيقه العلاج الوحيد لتحرير الفرد في اوروبة من العبودية لرجال الاقطاع ؛ وكانت الثورة الفرنسية في اواخر القرن الثامن عشر فاتحة الثورات التي اخذت شيئــا فشيئا :

ـ تقضي على الاقطاع ،

ـ وتحرر الفلاحين من العبودية وتجعلهم المالكين ،

ـ وتقرر المساواة في الحقوق فيما بين المواطنين ،

ـ وتعلن منذ اللحظة الاولى حقوق الانسان ، تلك الحقوق التي وقف عقب اعلانها خطيب الثورة الفرنسية لافاييت ليتوجه في خطابه الى روح عمر بن الخطاب من رجال الاسلام ويقول : « انك انت ايها الرجل العظيم الذي اوجدت العدالة كما هي » ، وذلك اقرارا منه باستمداد هذه الحقوق الاساسية الخالدة من سيرة رجال الاسلام ، ومن قولة عمر بن الخطاب في حرية الانسان التي خلدها له الدهر حين قال لبعض ولاته في الامصار : « منذ كم استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » •

٨ ـ غير ان هذه الثورة على الاقطاع الذي قضت عليه وأعلنت حرية الانسان منه، وألغت هذا الامتياز الذي كان لفئة من الناس النافذين دون غيرهم في حق ملكية الارض ، لم تلبث الثورة نفسها وفي ظل الحرية نفسها أن أنشأت من جديد فئة امتازت على الآخرين بغناها وثروتها الصناعية الفاحشة عوضا عن ملكيتها للارض الواسعة ، وتمتعت وحدها من جديد أيضا بجميع الحقوق السياسية للمواطن تبعا لثروتها لا غير ، وعرفت بالطبقة البورجوازية التي حلت محل الطبقة الاقطاعية ، وحرم العامل لا لشيء الا لفقره ، وكذلك كل فقير ، من جميع حقوق المواطن السياسية : فلا حق له في الانتخابات النيابية ، ولا حق

لـه في الترشيح لعضوية مجالس النواب .

٩ ـ وبذلك ايضا غدا اصحاب الثراء ورأس المـال هم وحدهم المواطنين دون العمال والفقراء ؛ وهذا مـا دفع اصحاب الفكر بل ورجال الدين ايضا الى مقاومة هـذا الامتياز الجديد في الحقوق على بقية المواطنين ، بل وهذا ما سهل على رجال الفكر الاشتراكي انتهاز الفرص لتأريث الاحقاد في العمال بعد الفلاحين ، ولدعوتهم الى الثورات، كما سهل على ماركس وأتباعه أن يسمعوا العمال من واقع حالهم التعيس بانهم لا وطن لهم ، وانه لا سبيل الى خلاصهم من وضعهم المهين الا بتبني شعارات كان من اهمها :

ا ـ الوحدة للعمال في العالم لا الوحدة الوطنية

ب ـ والحرية من سلطان رأس المال ،

ج ـ وتحكيم الاشتراكية الثورية والحرب الطبقية .

١٠ ـ وبعد فهذه هي كما ترون قصة الثورة ضـد الاقطاع اولا في اوروبة ، وضد نظامه فيها ، وضد ما قـد أغدقه هذا النظام حينذاك مـن امتيازات للاقطاعيين في الحقوق على بقية المواطنين ؛ وهذه هي قصة ظهور شعارات

الحرية ، والمساواة ، وحقوق الانسان ، والثورات من أجلها .

وتلك هي ايضا قصة ظهور البورجوازية في اوروبة كبديل للاقطاعية،وما قد تمتعت به أيضا هذه الطبقة الجديدة حينذاك من امتيازات في الحقوق على بقية المواطنين؛ وتلك هي ايضا قصة ظهور الاشتراكية الماركسية كرد فعل على البورجوازية ، وعلى بقايا الاقطاعية في اوروبة الحديثة ، تحت شعار الوحدة بين العمال ، والحرية من سلطان رأس المال ، والاشتراكية الثورية وحتمية الحرب الطبقية .

وكل هذه الانظمة كما ترون صادرة من ظروف اوروبة الخاصة ، ومن اوضاعها الخاصة ، ومن مشكلاتها الخاصة.

١١ — اما البلاد العربية فلم تكن تعرف نظام الاقطاع القائم على تبعية الفلاح للارض كجزء منها ، وعبودية الفلاح لسيدها ، لا قبل الاسلام ولا بعده .

كما لم تكن تعرف نظام البورجوازية ، القائم على التفاوت فيما بين المواطنين ، في الحقوق السياسية تبعا للفقر والثراء ، لا قبل الاسلام ولا بعده أيضا .

١٢ ــ بل المعروف منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومطالع الفتح الاسلامي ، أن الاسلام حيثما دخل ووجد هذا الاقطاع من آثار الرومان وغيرهم حرر الفلاح من تبعيته للارض ، ومن عبوديته للمالك ، ولم يعترف بالامتياز لفئة من الناس على غيرهم ، لا من اشراف ولا من رجال دين ، ليمتلكوا الارض وحدهم دون بقية الناس اجمعين •

كما انكر الاسلام كل تفاوت في الحقوق تبعا للغنى والثراء ، على نحو ما عرفته اوروبة البورجوازية في العصر الماضي ، وفي عهد الثوريين •

١٣ ــ وجل ما قد يكون احيانا من بعض المالكين للارض لدينا وبعض الاغنياء النافذين ، انما هو سوء تصرف الاولين مع فلاحيهم الاحرار ، او استخدام الاخرين لاموالهم ضد الضعفاء والمساوين للاغنياء في الحقوق • وليس معنى هذا ان هناك نظاما اقطاعيا قائما ، او نظاما بورجوازيا حاكما ، وانما هو ظلم مالك الارض ، وطغيان صاحب رأس المال ، وفساد الحكام • وان صفات الظلم والطغيان والفساد ليست من خصائص الانظمة ، بل هي من مساوىء الاشخاص والحكام وفي كل الازمان ، وهكذا

اتهم ستالين بعد موته بالطغيان ، وحكم عليه بنبش قبره وابعاده عن قبر لينين ، ولم يعد هناك أي فرق بينه فيما نسبوه اليه من طغيان ، وبين أي طاغية من قياصرة روسية الاقطاعيين ، ولذلك بدل اسم مدينة ستالينغراد محوا لاسمه منها ، كما بدل من قبل اسم مدينة بطرسبورغ محوا لذكر بطرس فيها .

١٤ ـ ورغم كل هذه الظروف الخاصة التي احاطت باوروبة وباوضاعها ، وكشفت في ظل التقدم والحضارة عن مقاتل انظمتها ، وفضائح اقطاعيتها وبورجوازيتها ، تلك الفضائح التي انتهت في بعض المناطق الاوروبية بقيام الماركسية ، وباسلام القيادة فيها للاشتراكية العلميةالثورية، وبالاخذ بمبدأ حتمية الحرب الطبقية ، تتساءل نحن العرب اليوم ، وقد ذكرنا من قبل ان ظروفنا غير ظروف اولئك ، وان اوضاعنا غير اوضاعهم ، وان قوام مجتمعنا خير من مجتمعهم ... فما الذي يجمع ما بين بعض شبيبتنا بل وبعض قياداتنا ، وبين مباديء الاشتراكية الماركسية ؟

او في تعبير آخر : ما الذي يجمع ما بين بعض شبيبتنا القومية العربية المتحفزة للنهوض ، وبين هذه الاشتراكية العلمية الثورية في المباديء الثلاثة التالية :

ـ الوحدة ، أي الوحدة ما بين العمال في العالـم لا الوحدة ما بين ابناء الاوطان !

ـ والحرية ، أي الحرية من سلطان رأس المال رغـم أن انظمتنا وشرائعنا لا تجعل لرأس المال من سلطان !

ـ والاشتراكية الثورية ، اي الاشتراكية القائمة على حتمية الحرب الطبقية في داخلنا وبين أقوامنا قبـل الحرب لتحرير مـا احتله المغتصب من أرضنا !! حتى لقد وصف بعض قـادة الاشتراكيين الثوريـين،في كتابه « في سبيـل البعـث » ، هـذه الحـرب الداخليـة فـي صفوف الامة العربية بانها يجب ان تكون « حارة لاهبـة دامية ... لا تداني قسوتها قسوة الحروب الخارجية مـع الاعداء الالـداء . » !

١٥ ـ هذا هو ايها السادة السؤال الذي يجـب ان نجيب عليه مـوضوعيا ، وان لا نتهرب من الصراحـة في الجواب عليه ، وان لا نتهـم الكثيرين من اصحاب هـذه الميول بالشذوذ وبسوء الطوية ... انه كما اعلناه من قبل وفي مطلع المحاضرة « الفراغ الفكري العلمي في نظرتنا الى الحياة ومشكلاتها وحلولها المنبثقة من واقعنا » ، وانرجال الفكر والعلم في عالمنا هم المسؤولون عن العمل لمـلء هذا

الفراغ ، وخاصة رجال الفكر الاسلامي ، ما دام القرآن يعلن فينا على رؤوس الاشهاد : ان الاسلام دعوة الى الحياة عملا بقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » . وقد وقف الائمة والمجتهدون في الاسلام من قبل على مسالك الحياة ، وأناروا للسالكين سبلها كلما عصفت بالحياة عاصفة ، ولا اظن الا ان عاصفة اليوم هي من اشد العواصف التي مرت على الحياة الانسانية ، عدا الحياة العربيه والاسلامية، وان بني الانسانية لوقفتهم المبددة للظلمات لمنتظرون .

١٦ ـ وهذا هو صوت من قلب بلاد الغرب المسيحية الفرنسية ، لا من قلب بلاد العرب والاسلام ، وارى ان اعيده للاذهان مرة ثانية بعد ان نقلته في محاضرة سابقة ، هو صوت الباحث الفرنسي جاك اوستروي Jacque Austruy ، وصاحب كتاب « الاسلام امام التطور الاقتصادي» L'Islam face au développement economique

الذي اصدره حديثا باللغة الفرنسية ، واستنجد فيه بالاسلام ، وهو الفرنسي المسيحي ، وقال :

« ليس هناك في الحقيقة طريقة وحيدة وضرورية لا

بد منها للانماء الاقتصادي كما تريد ان تقنعنا بـه المذاهب القصيرة النظر في النظامين الاقتصاديين السائدين (١) » •

١٧ ــ ثم الح المؤلف المـذكور في كتابه اعـلاه على ضرورة التماس المذهب الثالث في الاسلام نفسه ، لانه ليس فرديا ولا جماعيا ، ولكنه يجمع بين الحسنيين • غير انه شكا مـن صعوبـة البحث على مـن كان غريبا عن الاسلام لاستخراج مواطن القوة والابداع التي يمكن ان توجه هذا النظام الجديد ، وان تعبر فيه عن مشكلة التنمية الاقتصادية بلغة جديدة (٢) •

١٨ ــ ولذلك الح هذا المؤلف ايضا على المسلمـين بضرورة العـودة الى الاسلام نفسه ، والى دراسة قـواه الكامنة فيه ، بغية شق الطريق لنهوض المسلمين عوضا عن التقليد الاعمى (٣) ؛ ثم جاهر بان الاسلام يتمتع بامكانيات هائلة ، وانه اذا مـا وجد الطريق الصحيح فان كثيرا مـن الصعوبات الاقتصاديـة ، التي اظهرت للاقتصاديين تعـذر التغلب عليها حتى الان ، سوف يحلها الاسلام (٤) •

(١) الصفحة ١٦ ــ ١٧ منه •
(٢) الصفحة ٨٠ منه •
(٣) الصفحة ١١٢ منه •
(٤) الصفحات ١١٢ ــ ١١٣ منه •

**١٩ ــ وهكذا دعا هذا المؤلف المسلمين الى الاسراع قبل فوات الوقت ، لوضع الطريقة المنبثقة عن خصائصهم ،** وقواهم الكامنة المبدعة الهائلة ؛ ثم حذرهم بانهم ان لم يفعلوا ذلك فسوف يجبرون على قبول تغييرات غير سليمة في نظمهم الاساسية ، وذلك نتيجة لاتباع منهج في الانماء مفروض عليهم من الخارج ، وفي هذه الحالة سيقضي على الاسلام كمنهج حضاري مستقل (١) .

٢٠ ــ وهكذا يستنجد بالاسلام وبالمسلمين هذا الاجنبي عن الاسلام .

ويدعوهم الى الاسراع .

ويحذرهم من فوات الوقت .

ويرجو أن يضعوا لانفسهم وللعالم أجمع الطريقة المنبثقة عن خصائصهم ، وقوى الاسلام المبدعة الهائلة .

ثم يكرر تحذيرهم بانهم ان لم يفعلوا ذلك ، ويملأوا هذا الفراغ ، فسوف يجبرون على قبول تغييرات غير سليمة في نظمهم الاساسية .

---

(١) الصفحة ٢٠ منه .

وسوف يضطرون لاتباع منهــج في الانماء مفروض عليهم من الخارج •

وانه في هذه الحالــة سيقضي على الاسلام كمنهــج حضاري مستقل •

٢١ ــ ومن الغريب ان دعوة هذا الرجــل للمسلمين الى مــا دعاهم اليه ، وحذرهم منه ، انما صدرت في كتابه المطبوع في باريس في سنة ١٩٦١ •

وان تبني الجزائر المسلمة لاسم « الجمهورية الشعبية الجزائرية » لتنضم ولو في الاسم الى قائمة الجمهوريــات الشعبية الماركسية ، وتبنيهــا رسميا للاشتراكية العلميــة الثورية فور استقلالها ، وعقب ما قدمته من مليون شهيــد باسم الاسلام ، انما حدث ايضا في سنة ١٩٦٢ •

وكذلــك وعلى نفس الأسس الاشتراكيــة العلميــة الثورية ، وفي نفس السنة أيضا ، صدر الميثاق الاشتراكي للجمهورية العربية المتحدة في مصر •

ثم صدر في سورية وفي مطالع سنة ١٩٦٤ الدستور السوري المــوقت الجــديد على نفس الاسس أيضا مــن الاشتراكية العلمية الثورية •

٢٢ ــ وانا لا اريد ان ألوم ، أو أتهم هــذه القيادات العربية المسلحة بسوء نوايــاها ، حينما أخــذت بمجمل مبادىء الاشتراكية الثورية ، كما جاءت في الميثاق الشيوعي المشهور الذي وضعه ماركس نفسه .

وانما ألوم رجال الفكر والعلــم لدينا ، وانهم هــم المسؤولون عن هذا الفراغ الفكري العلمي تجاه مشكــلات الحيــاة ، وحلولها التي كــان يجب أن تنبثق مــن واقعنا وعقائدنا ، ذلك الفراغ الذي كان لا بد وأن يملأ بسرعة ، وبما نكتشفه لدى الاسلام مــن خصائص وقوى مبدعــة هائلة ، والا فانه سيملأ رغما عنا : بفلسفة مفروضة علينا ، وبمبادىء غريبة وافــدة الينا ، كما توقعه ذلــك الباحث الفرنسي ، وكذلك كان لــدى الكثيرين من شبيبتنا وفي بعض بلادنا . وسوف يبقى الخطر محيطا ببقية البــلاد ، وبمن سيخلف القيادات الحالية فيها ، ما دام ذلك الفــراغ باقيا ، فهل نحن لخطر هذا الفراغ مدركون ، ولتداركــه عاملــون ؟

٢٣ ــ ولا بد لسامع هذه المحاضرة ، او قارئهــا أن يذكر قولي في مطلع المحاضرة ، بان ذلك الفراغ الفكري العلمي تجاه مشكلات الحياة ، وحلولها المنبثقة من واقعنا ،

خاصة وقد أخذنا نطرق ابواب الحياة من جديـد ، أوجب علينا أن نمد بابصارنا الى نظرتين قائمتين من نظرات الاغيار الى حلول مشكلات الحياة لديهم ، وهي :

ــ نظرة المذهب الحر المعروف بالمذهب الرأسمالي ،

ــ ونظرة المـذهب المـاركسي في تغيير المجتمـع ، والمعروف بالاشتراكية العلمية الثورية .

اقول لا بد للسامـع وللقارىء ان يذكر مـا تقدم ، وان يسأل قائلا : اذا كان هناك فراغ فكري علمي لدينـا تجاه مشكلات الحياة وحلولها ، فلماذا كان الاتجاه الى ملئه بنظرة المذهب الماركسي ، دون المذهب الحر الرأسمالي ؟

٢٤ ــ والجواب على ذلك سهل وبسيط اذا ما عرفنا أهم خصائص المذهبين، وشروط انتشار كل منهما، كما دلت عليه الوقائع .

٢٥ ــ اما اهـم خصائص المـذهب الحر ، المعروف بالمذهب الرأسمالي فهـي :

ــ الحرية الفرديـة ،

ــ والحافز الشخصي للربح لدى الفرد .

وان هذا المذهب بخصائصه هذه، لايمكن انيتحسس الناس بوجوب الاخذ به ، وبالحفاظ عليه الا في بلاد توفرت فيها للافراد الى جانب حريتهم واستقلالهم في السعي والعمل ، جميع الامكانيات المادية الضرورية لاثارة الحافز الشخصي للربح لدى الفرد •

ولما كانت بلادنا هي من البلاد المتخلفة ، وكان الفرد المثقف فيها محروما لدى الكثرة من جميع هذه الامكانيات المادية الضرورية لاثارة الحافز الشخصي ، فقد أصبح تجسسه بالاتجاه نحو هذا المذهب مشلولا وغير ممكن ، فضلا عما لدى هذه البلاد المتحررة حديثا من نير الاستعمار الرأسمالي من عقدة نفسية حول كل ما يتصل بالغرب •

٢٦ ــ واما أهم خصائص المذهب الماركسي المعروف بالاشتراكية العلمية الثورية فهي :

ــ اثارة حقد المحتاج والمحروم على المالكين •

ــ واعلان ضرورة الحرب الطبقية ، وحتميتها للتخلص من اولئك الممتازين •

ولما كانت بلادنا متخلفة في الجملة كما اشرنا اليه من قبل، وكان معظم الافراد فيها محرومين منجميع الامكانيات

المادية الضرورية لاثارة الحوافز الشخصية ، ومحرومين غالبا من كل عنصر من عناصر الملكية ، وغير مرتاحين بطبيعة الحال الى حظهم البائس في مجتمعهم، فقد أصبح تحسسهم اذن بالاتجاه نحو هذا المذهب ـ في حقده على المالكين ، وحتمية الحرب الطبقية لازالتهم ـ موفور الشروط ، خاصة وليست لديهم نظرية علمية اخرى حول فلسفةالحياة، ومشكلاتها وحلولها :

ـ ليعرضوا عليها اولا مشكلات الحياة لديهم ، وليستمدوا منها الحلول .

ـ وليكشفوا بها ثانيا مقاتل النظرة الاشتراكية الثورية القاضية على وحدتنا القومية ، ونهضتنا الفتية .

٢٧ ـ ويؤيد هذا الايضاح لاسباب الاتجاه الى نظرة الاشتراكية الثورية في بلادنا المتخلفة لدى الكثيرين من الشبيبة المثقفة ، هو ان هذا التحسس نحو الماركسية للاسباب المذكورة ، ليس قاصرا على البلاد.العربيةالاسلامية فحسب ، بل شاملا ايضا لجميع البلاد المتخلفة ، والمتحررة حديثا من الاستعمار ، سواء كانت عربية أو غير عربيه ، واسلامية او غير اسلامية ، وذلك كما اخذنا نلمس آثاره اليوم ، في معظم البلاد الافريقية المتحررة والمتخلفة ، ما

لم يردعها رادع ديني تقليدي قوي ، والى حين .

٢٨ ــ ولذلك وجب على رجال الفكر والعلم في عالمنا العربي ، وخاصةمجالس التخطيط للثقافة في البلاد ذات النظم الاسلامية كالمملكة العربية السعودية ، أن يحشدوا لذلك الامر الجلل النخبة العليا من رجال الفكر والعلم في العالم الاسلامي، وان يتداركوا بسرعة هذا الفراغ الفكري العلمي الذي كان من نتيجته أن شغلته النظرة الاشتراكية الثورية في بلادنا ، ففرقت باسم الصراع الطبقي والخلاف العقائدي صفوفنا ، وأشعلت الحرب فيما بيننا ، وشتتت طاقاتنا ، وخفضت بنتيجة ذلك من مستوى الحياة في كل قطر عربي دخلته ، ومن مستوى الانتاج فيه ، حتى أصبحت حياة بعضهم متوقفة على مايتناولونه من يوم لآخر من مساعدات بمختلف الصور والاشكال .

٢٩ ــ وليس هذا ايضا كل ما في الاشتراكية الثورية من أخطار على بلادنا ، فهناك الطامة الكبرى عندما ستقضي بالتدريج على قوميتنا وديننا الذين نحرص عليهما ، والذين هما قوام وحدتنا . ولا شك انكم ذاكرون ما قاله الزعيم السوفييتي السابق خروتشيف ، حين زار مصر في الصيف الماضي للاشتراك في تدشين السد العالي ، وحين سمع

الهتافات المدوية بحياة الوحدة العربية والقومية العربية ، ولم يهتفوا بالطبع بحياة العقيدة الدينية ، فقال مستنكرا ومن غير تحفظ : وأي علاقة للاشتراكية العلمية الثورية بأمير الكويت « العربي المسلم » ؟؟ !!

٣٠ ـ وان العرب الذين أخضعوا لاحكام الاشتراكية العلمية الثورية اليوم ، لن ينقذهم في المستقبل ان يكون قادتهم الان عربا ومسلمين ومخلصين ، فان الاشتراكية العلمية الثورية حلقات متماسكة كما سنرى ادناه ، وقد تمنطق الاشتراكيون الثوريون العرب بجميع حلقاتها ، الا حلقة واحدة بالنسبة فقط للمؤمنين الآن منهم ، وقد جاء في الحديث الشريف : « ان الحلال بين وان الحرام بين ، وبينهما امور متشابهات ، ومن حام حوله الحمى يوشك ان يرتع فيه » .

وان الامانة في النقل عن المذهب الماركسي ، توجب علي أن أنقل لاخواننا الاشتراكيين الثوريين العرب المؤمنين ، أن باكونين الزعيم الاشتراكي الثوري من أتراب ماركس، كان أصر على ماركس حين كتابة الميثاق الشيوعي على « ان يصدر باعلان الالحاد » ، فقال ماركس وهو أشد الحادا من الاول : « انها سياسة غير حكيمة » !!

ولا شك لو ان ماركس كـان حيا ، لقـال اليوم مع المتربصين من وراء القـادة الاشتراكيين الثوريـين العرب المؤمنين : « ان اعلان التمسك بالايمان بالله أحكم ، ولو الى حـين !! » .

ولا ننسى في هذا المقام ما اعلنته الاحزاب الشيوعية العربية من موسكو ، في السنة الماضية ، من تأييـد ودعم لهذه الحركـات الاشتراكية العربية ، وتسجيلها علنـا في صفحة مكاسبهم . وفي ذلك الخبر اليقين .

٣١ ــ وبعد فان ما وصلنا اليه حتى الان ، مـن شرح أخطار هذا الفراغ الفكري العلمي في عالمنا العربي ، امـام فلسفة الحياة ومشكلاتها وحلولها ، يحملنا على أن لا نقف منه بعد الان فقط في الجانب السلبي منه ، بل يوجب علينا ان ننتقل بكم فورا الى الجانب الايجابي فيه ، وذلك بمعنى اننا وقد اكتشفنا الداء فما هو الدواء ؟ .

٣٢ ــ ويؤسفنـي أنني في الوقت المخصص عـادة للمحاضرات ، وخاصة بعد أن استنفدت منه ما قد مضى لما سلف بيانه من المحاضرة ، لن استطيع ان اتنـاول بالبحث الدقيق جميع قـوام نظرتنا العلمية الى فلسفـة الحيـاة المستمدة من عقائدنا ، والتي نرجو أن تصبح وحدها البديل

لغيرها من النظرات في ثقافتنا ، ولحل مشكلاتنا ، ولتوحيد جهدنا ولجمع شملنــا •

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ، ولذلك سوف اقتصر فيما تبقى من الوقت على التخطيط للنظرة العلميــة الاسلامية بالقــدر الذي يسمح بــه المقام الآن ، ليكــون فيما بعد أساسا لبحث علمي واسع ، ولكن بعد أن اعرض عرضا سريعا الآن أيضا ، وبمنتهى الايجاز ، أهم الافكار الاساسية الخطيرة في الاشتراكية الثوريه ، كما أشرنا اليها من قبل ، ليتضح للسامع بعــد ذلك مــن حيث الاصول والقواعد والمبادىء ، أهم المفارقــات العلمية والانسانيــة والعملية بين النظرتين •

٣٣ ــ ومن المعلــوم في الكتب الخــاصة بالنظــرة الماركسية المعروفة بالاشتراكية العلمية الثورية ، انها نظرة مادية بحتة ، وتقوم على عدة فكر مادية اساسية ، ومجموعة عدة حلقات آخذ بعضها برقاب بعض ، وأهمها :

ا ــ المنطق الجدلي ( الدياليكتيك ) الذي يحكّمونه في آن واحد في الكون والانسان والمجتمع ، وينــكرون بموجبه وجــود الله •

ب ـ التحليل المادي للتاريخ ، الذي يعلنون بموجبه ان التطور المادي في مكان ما ، هو وحـده الـذي يفرض نظام المجتمع الواجب الاتباع ، لا الفكر ولا التربية .

ج ـ انكار كيان الفرد في المجتمع ، ومحاربة الحوافز الفردية فيه ، وايجاب تغيير نظام المجتمع القائم على هـذا الاساس .

د ـ حتمية الصراع الطبقي من أجـل تغيير المجتمع ، والغاء الملكية الفردية لجميع وسائل الانتاج فيه .

هـ ـ وأخيرا الغاء الدولة ، عندما يصبح الناس فيها جميعا اشتراكيين .

ولكل من ذلك بحوث مطولة ومعقدة ، وامور فرعية عنها ، ولا يتسع المقام لمناقشتها ، الا بالقدر الذي اشرنـا اليه من قبل ، وبالقدر الذي يأتي فيما بعد .

٣٤ ـ اما فيما يتعلق بانكار وجـود الله ، والمصدر الاعلى لوجود هذا الكون ، فان « المنطق العقلي » سيبقى وحده اساسا لكل معرفة لا « المنطق الجدلي » ، وان العلم لم يسلم لا من قبل ولا من بعد بان موجودا عجيبا في دقته ونظامه واحكامـه ـ كالصاروخ الروسي مثلا الى القمـر

والمريخ ، **فضلا عن عظمة الكون بمجموعه بصورة عامة ، وكل ذي حياة بصورة خاصة ـ يمكن أن يكون قد وجد** من غير صانع مبدع !! **وسوف يبقى الاستدلال المنطقي** العقلي المعجز هو قوله تعالى : « **أم خلقوا من غير شيء ، أم** هم الخالقون ؟ » .

٣٥ ـ واما التحليل المادي للتاريخ ، والقول بموجبه بان التطور المادي في مكان ما ، هو وحده الذي يفرض نظام المجتمع الواجب الاتباع، لا الفكر ولا التربية، فيكفي للرد عليه ان ما ذهب اليه ماركس في تحليله المادى لتطور الصناعة في عصورنا الحديثة في شكل كتل جماعية في المصانع الكبيرة ، وان ذلك يستدعي بنفسه قيام ملكية جماعية رضاء ام كرها ، فهذه هي الصناعة الثقيلة الكبرى قد نشأت في البلاد الرأسمالية قبل الاتحاد السوفييتي ، ومع ذلك فانها حتى الان ، لم تتقبل فكرة الملكية الجماعية في الاساس ، ولم ترض عن الملكية الفردية بديلا ، ولم يثر فيها العمال كما كان ماركس يتوقع ذلك عملا بنظريته بان التطور المادي في مكان ما هو وحده الذي يفرض نظام المجتمع ، لا الفكر ولا التربية ، وعلى العكس من ذلك فان فكرته كفكرة مجردة ما استطاعت ان تجد لها طريقا

الى الوجود الا عندما وجدت من يتبناها فكريا ، وذلك :

ــ اولا في روسية قبل تصنيعها الجديد ،

ــ وثم في الصين قبل تصنيعها ايضا الحديث .

ولذلك فان نظرية ماركس في اسقاط الفكر والتربية من عملية التطور في المجتمع ، أصبحت في الواقع والمحسوس لا تستحق الجد في مناقشتها وابطالها .

٣٦ ــ واما انكار كيان الفرد في المجتمع ، وطمس معالم الفردية وحوافزها فيه ، فيكفينا للرد عليه ذلك التدهور في الانتاج بشكل مخيف في جميع البلاد الاشتراكية ، وذلك لانعدام عامل الحافز الشخصي الموجود في النظام الحر كما أعلنه الرئيس السوفييتي الجديد أليكسي كوسيغين في خطابه الى مجلس السوفييت الاعلى عقب دخوله قصر الكرملين في اواخر السنة الفائتة (١٩٦٤).

٣٧ ــ واما حتمية الصراع الطبقي في ظل الملكية الفردية لوسائل الانتاج الحديثة ، فقد كان قررها ماركس على ضوء ثورة الشعوب في اوروبة على الملكية الاقطاعية فيها ، وجزم بعد ذلك بتوفر جميع اسباب ثورة العمال على البورجوازية في انكلترا ، حيث رجح ماركس ان يتخذ

منها مركزا لقيادته لها ، ولمراقبة الاحداث فيها من قرب !

ولكن ماركس نفسه لم يمت حتى شاهد فشل نظريته العلمية هذه ، واراد نقل مركزه الى نيويورك بعد أن يئس من انكلترا ، ووجه بالفعل دعوة لعقد مؤتمر شيوعي هناك، فلم يجبه احد ، وهذا ما اضطره الى العدول عن الذهاب الى مقر دعوته الجديد ! وهكذا بطلت نظريته ولم يحدث الصراع الطبقي لا في انكلترا ولا في امريكا حيث جزم بحتميته فيهما !!

٣٨ ـ اما الآن وقد انتهينا من لمس النظرة الماركسية المعروفة بالاشتراكية العلمية الثورية ، واشرنا بايجاز الى مصادمتها للوقائع بعد التطبيق ، فقد جرحت على الاقل علميتها من غير شك ، وذلك لانه من المجزوم فيه لدى علماء النقد العلمي : « أن كل نظرية يخالفها الواقع تصبح عندئذ غير علمية ، ويجب أن تطرح في سلة المهملات » .

٣٩ ـ ويكفي لبطلان علميتها ان هذه النظرية الثورية الى الحياة لم تستطع أن تلقى قبولا لها في البلاد الحرة السباقة الى الثورتين العلمية والصناعية كانكلترا وامريكا ، تلك البلاد التي جزم فيها ماركس بانها وحدها التي تهيأت فيها اسباب الثورة ، بل على الرغم من صراحته

بان روسية لا تصلح لبث دعوته فيها كدولة متخلفة حينذاك، فان روسية وحدها كبلد متخلف هي التي نجحت فيها الثورة الماركسية عقب الحرب العالمية الاولى ، ثم تجدد نجاحها مرة ثانية عقب الحرب العالمية الثانية في الصين المتخلفة ، ثم ها نحن اولئك نجد تسربها من جديد : فقط الى نطاق الكثير من البلدان المتخلفة كما أثبتناه من قبل . وليس هذا من مفاخر هذه النظرة التي لا تجد لها نجاحا الا عند المتخلفين ، في حين أن ماركس تنبأ لها بجزم ، بانها لن تجد لها نجاحا الا عند المتقدمين .

٤٠ ــ لذلك كله وجب علينا معشر العرب ، ان نلتمس الطريق الى نظرة علمية لفلسفة الحياة، ومشكلاتها، وحلولها، نملأ بها الفراغ الفكري لدى شبيبتنا ، ونترفع فيها عن مواطن التقليد الاعمى والاتباع ، ونرتفع فيها مؤيدين بالوقائع الى مستوى الابتكار والابداع ، خاصة وقد بدا اليوم للباحثين أن كلا من المذهبين السائدين : المذهب الحر الرأسمالي والمذهب الماركسي الاشتراكي الثوري ، قد قصر كل منهما عن ان يكون الوسيلة الوحيدة لحل المشكلات الانسانية في كل مكان ، كما أخذت أيضا صيحة بعض الباحثين ، تنادي بضرورة الالتماس للمذهب الثالث في

الاسلام نفسه ، على نحو مـا نقلناها اليكم فيما تقدم من المحاضرة •

٤١ ـ واذا كان كل من النظرتين في المذهب الحر والمذهب الماركسي قد ابتدأتا في نظرتيهما الى الحياة نظرة مادية بحتة ، على الرغم من اختلافهما في الايمان بالله : حيث لم تحفل بـه الاولى وان لم تنكره ، ولكن الثانية عنيت بـه وانكرته ، فان الاسلام من هنا يبدأ :

ـ ويعلن الايمان بالله رب العالمين اولا •

ـ ثم يستمد نظرته الى الكون ، والى الانسان، والى المجتمع من الايمان بالله نفسه ، وما قد ارشدهم اليه هذا الايمان ، معلنا فيه وحدة بني الانسان وكرامتهم على الله جميعا في قوله تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم » ، وانه سخر لنا مـا في الارض جميعا ، وانه انما جعلنا شعوبا وقبائل لنتعارف ، لا لنتحاقد ونتصارع ، وذلك عملا بقوله تعالى : « يـا ايها الناس انـا خلقناكم مـن ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، وانه لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على اسود الا بالتقوى، لا بالشرف ولا بالمـال ، عملا بنصوص القرآن الكريم واقـوال النبي العظيم •

**وبذلك يكون الايمان بالله وحده في الاسلام قد ضرب امتيازات الاقطاعية والبورجوازية من أساسها ، تلك الامتيازات التي لم تعرف الا في البلاد التي لم تعرف الاسلام .**

٤٢ ــ نعم من هنا نبدأ ، ونعمة البداية تبعا للايمان بالله رب العالمين اجمعين : الاعلان عن نظرة الاسلام الى الانسان ، في المبدأ والاصل :

ــ وانها الكرامة للجميع ، والمساواة بين الجميع .

ــ وانها الحب والاخاء ، لا الحقد والصراع كما اعلنه ماركس وقال انه : « لم يكن جميع الناس اخوة في أي حال من الاحوال ، بل كانوا اعداء طبقيين يتصارعون » !! ويا هول ما بين المبدأين من تفاوت ومفارقات !!

٤٣ ــ واذا شئنا الكشف عن حقيقة النظرة الاسلامية العلمية الى الحياة ، ومشكلاتها وحلولها ، فلا بد من التخطيط لها اولا ، ثم البحث من خلال ذلك التخطيط عن مكامن القوة والابداع فيها :

ــ علميا .

ــ وانسانيا .

ـ وعمليا .

٤٤ ـ وهذه النظرة الكاملة انما تستخرج من خلال النظرات الاسلامية التالية :

اولا ـ الى الله .

ـ والى الكون .

ـ والى الانسان .

ـ والى المجتمع والدولة .

وثانيا ـ الى مشكلات الحياة الزمنية وقواعد حلولها، وذلك في كل من مشكلات الملكيات الكبيرة في الارض ، والاستقطاب المالي في الصناعة عند الاقتضاء .

وثالثا ـ وأخيرا في مباحث التخطيط للتنمية .

ـ وفي مباحث التمويل الكبير .

ـ وفي مباحث عدالة التوزيع في الثروة من غير اضرار بالحوافز الفردية .

٤٥ ـ ولا بد أن السامعين الكرام يرون مع محاضرهم سعة هذه المواضيع وتشعب اطرافها، ويرون ان تلك البحوث

ليست من شأن المحاضرات ، وانما هي من شأن المؤلفات ، وانه من الواجب على العديد من الباحثين من رجال الفكر والعلم في الثقافة الاسلامية وغيرها ان يساهموا فيها •

ويكفي محاضركم الان أنه أثار المشكلة ، وخطط بحوثها ، ودعا الى الاهتمام بها •

٤٦ ــ ولكنني لا اريد أن اترك المنبر قبل أن أشير الى بعض جوانب النظرة الاسلامية ، والتي تمس أهم المشكلات الانسانية ، وذلك في الاشارة الى بعض اهم المبادىء والاحكام الاسلامية المتعلقة بسلوك الانسان في هذه الدار الدنيا ، وفي تلك الدار الآخرة ، وخاصة فيما يتعلق بشخصية الفرد وابرازها كنتيجة لكرامته ، وحريته ، ومسؤوليته : سواء فيها المسؤولية عن نفسه ، او عن افراد امته •

٤٧ ــ وهكذا فقد قرر الاسلام في هذا الصدد عدة مبادىء نذكر منها :

اولا ــ أنه ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى •

ثانيا ــ انه لا تزر وازرة وزر أخرى ، وان لكل نفس

ما كسبت وعليها ما اكتسبت .

ثالثا ــ ان على الانسان ان يبتغي فيما آتاه الله الدار الآخرة اولا ، وان يتمتع بعد ذلك بنصيبه من الدنيا .

رابعا ــ ان في اموال الكاسبين من اصحاب الفضول في الاموال حقا للكاسبين السائلين الذين لم يبلغوا في كسبهم حاجتهم من الاموال ، وحقا للمحرومين من الكسب حرمانا كاملا .

٤٨ ــ وبذلك دفع الاسلام الفرد القادر على الكسب، دفعه بكامل طاقاته الى « حرية السعي المراقب المسؤول » من أجل مصلحة الفرد نفسه ومصلحة مجتمعه ، واعتبر كل اضعاف لحوافز الفرد ولقدرته في الكسب اضرارا بهذا المجتمع ، وهكذا :

ــ اقام وجود كل فرد من الناس على المسؤولية في ذلك السعي الحر : ان خيرا فخير وان شرا فشر .

ــ وشجع فيه من اجل ذلك جميع الحوافز الفردية بتمليكه وحده ثمرة كامل سعيه حقا وعدلا ، اذ لا مسؤولية من غير حرية وملكية لثمرة السعي ، غير انه لا حرية في الاضرار بالمصالح في الاسلام ، ولو لمصلحة الفرد نفسه ،

ولذلك حجر السفيه الذي لا يحسن التصرف لمصلحة نفسه، فكيف بالذي يسيء لمصلحة غيره .

ـ واوجب على الفرد في كل حال أن يبتغي في ملكه وجه الله اولا ، وهذا لا يخرج عن مصلحة المجتمع ، وان يتمتع بعد ذلك بنصيبه من الدنيا .

ـ وفرض من اجل ذلك على الكاسب لما زاد عن حاجته : اولا حقا للسائل الذي لم يبلغ في سعيه تمام حاجته ، وثانيا حقا للمحروم من كامل سعيه . وقد حل الاسلام بهذا التقسيم الثلاثي الآلهي مشكلة عوز السائل وفاقة المحروم ، وجعل مسؤوليتهما فرضا محتوما على القادر على الكسب لما فوق حاجته ؛ وتبارك الله احكم الحاكمين .

٤٩ ـ ولا بد هنا من العودة الى الاشادة بهذا التقسيم الثلاثي الألهي الواقعي في مختلف الانظمة ، وفي مختلف الازمان ، والذي اختص به الاسلام ، وجعل من المجتمع :

ـ اما افرادا كاسبين وقادرين على الكسب لما فوق حاجتهم .

ـ واما افرادا كاسبين ولكنهم ليسوا بقـادرين على كسب تمام حاجتهم ، وهم السائلون •

ـ واما افرادا محرومين تماما من القـدرة على شيء من الكسب •

٥٠ ـ وان كل مـن ينظر الى هـذا التقسيم الثلاثي الالهي المحكم البديـع يشعر تمام الشعـور بان مصلحـة الصنفين الاخيرين متوقفة تمام الوقوف على زيادة حوافر الكسب الفطرية لدى الصنف الاول :

ـ وهكذا فكلما ازدادت حـوافز الكسب الفطريـة المسؤولة لدى القادر على الكسب فـوق حاجته ، ازدادت حصة السائل والمحروم في فضول امواله •

٥١ ـ لذلك شجع الاسلام هذه الحوافز ، وذلك بان ملك الكاسب كامل ثمرة سعيه مهما كانت ، لان العمل هو مصدر الكسب ، ولان من اول معاني العدالة في تـوزيع الثروة في المجتمع هـو وجـوب الاعتراف لصاحب العمل بحقه في الكسب كتشجيع اساسي لزيادة الانتاج ولزيـادة حصص افراد المجتمع فيه •

وهكذا فقد اثبتت التجارب الماركسية بانه ليس هناك

قوة يمكنها ان تجبر الفرد القوي على بذل جميع طاقاته لزيادة الانتاج اذا ما نزعت منه هذه الحوافز الشخصية للكسب ، واذا ما حرم عليه تملك كامل ثمرة سعيه، عملا بالقاعدة الماركسية الاساسية في العمل وفي التوزيع : «من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته » .

واذا ما نظرنا الى أن القاعدة الاساسية في الاشتراكية الثورية هي ان تنزع حق الملكية من اساسه لثمرة العمل والسعي ، وان لا تعطيه الا حاجته فقط ، ادركنا عندئذ مقدار الاساءة الكبرى الى برامج زيادة الانتاج ، ومقدار الاساءة العظمى الى مصلحة المواطنين ، وهذا ما يشكو منه بالضبط في هذه الايام قادة السوفييت فيما يتعلق بتدهور الانتاج ، وعدم تلبيته لحاجة المواطنين في ظل قواعد الاشتراكية الثورية ، ويعملون على تداركه بالعودة الى تنحية الحوافز الشخصية للعمل ، وبالاعلان بانها هي الدافع الاساسي للزيادة في الانتاج ، ولو أدى ذلك الى التفاوت في درجات الكسب والرزق . وهكذا فقد بلغ التفاوت في درجات الكسب في الاتحاد السوفييتي اليوم من واحد الى مئة ، على الرغم من حرص الاشتراكية في الاصل على الوحدة في الاجور ؛ في حين أن هذا التفاوت

في درجات الرزق بين اصحاب الكسب المحدود في البلاد الرأسمالية ، لم يتجاوز من واحد الى عشرة .

٥٢ ــ ولذلك لا بد لي من الالحاح مرة أخرى على فلسفة الدفاع عن ملكية الكسب المشروع في الاسلام ، والتفاوت في درجاته ، وذلك كظاهرة اجتماعية ضرورية لمصلحة الحياة الانسانية الحضارية، تلك الظاهرة الاجتماعية التي ترمي في آن واحد :

ــ الى ازكاء الحوافز الفطرية الشخصية .

ــ والى الرغبة في زيادة الانتاج عملا بتلك الحوافز .

ــ والى دفع البشرية لان تتوزع بارادتها جميع اعمال الخدمات الضرورية في الحياة الحضارية ، من وضيعة وسامية ، حتى لقد عد الاسلام « اماطة الاذى عن الطريق شعبة من شعب الايمان . »

ــ وترمي أخيرا هذه الظاهرة الاجتماعية ، الى التمكن من توجيه المسؤولية الى الافراد عن مقدار شعورهم بواجب التكافل الاجتماعي تجاه السائل والمحروم ، وذلك في حالة العوز لتعالج الحاجة لدى السائل ، وفي حالة الفاقة لتقضي عليها لدى المحروم .

وقد جاء مصداقا لذلك قوله تعالى : « نحن قسمنا بينكم معيشتكم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات ( في الرزق ) ليتخذ بعضكم بعضا سخريا » ، وقوله أيضا : « هو الذي جعلكم خلائف في الارض، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ( في الرزق ) ليبلوكم فيما آتاكم » ، صدق الله العظيم ، وهو احكم الحاكمين •

٥٣ ـ وبذلك تثبت مرة أخرى بصورة لا شك فيها :

اولا ـ أن تمليك الانسان لثمرة سعيه هو الحق الطبيعي ، والطريق العادل لتوزيع الثروة على اساس السعي والعمل ، وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى •

ثانيا ـ أن في ذلك مصلحة جميع المواطنين فيما اذا فرض على المالك جميع الفروض الاسلامية المعروفة ، فيما يتعلق بحق السائل والمحروم في اموال الكاسبين •

ثالثا ـ أن في ذلك ظاهرة اجتماعية لا بد منها في الحياة الانسانية الحضارية لما عددناه اعلاه من مصالح وأغراض •

٥٤ ـ ولا يبقى بعد ذلك من المبادىء الاساسية التي

لم نشر اليها مما لهـا علاقة بمشكلات الحياة الطارئة، غير مشكلة الحاجة ، وعندما توجبها الضرورة مـن وقت الى آخر ، تلك الحاجة الى العمل على تـوزيع مصلحي للثروة فيما يتعلق بملكية الاراضي الزراعية ، وفيما يتعلق بالانتاج الصناعي ، وذلك كلما ضاقت الارض في مكان مـا ، او استقطب رأس المـال في صناعـة مـا ، ونشأ عن ذلـك مفسدة ، او خشي منه على مصلحة . وكل ذلك هو مـن المصالح الزمنية الطارئة ، والتي ليس من المصلحة أن يفرض فيها حل وحيد ودائم ، وانما الواجب في مثل هذه الحالات أن تعالج المشكلة في كل مكان على حدة ، ووفقا لبـاب المصالح المرسلة في الاسلام ، بما لا نوقع فيه مظلمة ، ولا نترك معه مفسدة ، ولا نضيع فيه مصلحة ، ولا نتجاهـل معه حق الملك المشروع ، وعلى اساس من الحب والاخاء ، لا الحقـد والصراع .

٥٥ ـ ويتضح من هذا اللمس السريع لبعض جوانب النظرة الاسلامية في فلسفة الحياة ، ومشكلاتها ، وحلولها، انها نظرة غير مادية ، وهي فوق ذلك انسانية ومصلحية ، فهي اذن :

ـ تؤمن باللـه رب العالمين .

ــ وتؤمن بكرامة الناس اجمعين ، وبأن اكرم الناس عند الله اتقاهم لاوامره فيما فرضه على المؤمنين •

ــ وترفض كل امتياز لفئة على فئة : سواء بالعرق ، او بالنسب ، او بالمال ، مما هــو من خصائص الاقطاعية ، والبورجوازية الاوروبية السابقة •

ــ وتعتبر تملك ثمرة السعي حقا طبيعيا لا ظلم فيه ، ما دام يؤدي منه حق الله للسائل والمحروم •

ــ كما تعتبر تشجيع الحوافز الفطرية للسعي والكسب لدى الفرد ، من مصلحة الجماعة والفرد ، وان التفاوت في درجات الرزق حينذاك، هو ظاهرة اجتماعية ضرورية لمصلحة الحضارة الانسانية ، وذلك من اجل ازكاء الحوافز الفردية، والزيادة في الانتاج وفي الحصص منه لمن كانوا في الكسب لحاجتهم مقصرين او غير قادرين •

ــ كما تعتبر التضامن الاجتماعي واجبا دينيا فيما بين الكاسبين ، وبين المحتاجين والمحرومين •

ــ وتؤمن بان المجتمع متضامــن بحكم خليقته ، وان الفرد فيه مسؤول عن مصلحــة الجماعة ، وان الجماعــة مسؤولة عن مصلحة الفرد ، وان قيام الدولة في المجتمع هو

عمل تفرضه المصلحة الاجتماعية ، وان الدولة رمز لوحدة المجتمع ، وجهاز لخدمته لا للتسلط عليه ، كما تصوره ودعا ماركس اليه •

ـ كما تؤمن بان الملكية لا تعفي الفرد من المسؤولية فيما اذا أساء استعمالها ، حتى ولو كان ذلك ضد مصلحة المالك نفسه فضلا عن الاساءة لغيره •

ـ واخيرا تؤمن فيما يتعلق بمشكلات الاراضي والصناعة باخضاعها في كثير من جوانبها الى قواعد المصالح في الاسلام ، وذلك باتخاذ كل التدابير الزمنية المشروعة لدفع كل مفسدة تنشأ في حينها عن الملكيات الصغيرة او عن استقطاب رؤوس الاموال ، ولتحقيق كل مصلحة اقتضتها ظروف الاحوال ، في الزمان والمكان ، واختيار ما هو اصلح للمجتمع واقوم للانسان ، على اساس من الحب والاخاء الضروريين ، لا على اساس من الحقد والصراع الطبقيين ، « وان هـذا القرآن يهدي للتي هي اقوم » •

٥٦ ـ وبعد •• فهذا هو الاسلام في عقيدته ، وفي نظرته •

وهذا هو في فكرته ، وفي فلسفته •

وهذا هو في مبادئه ، وفي دعوته •

وهذا هو في حقائقه ، وفي معرفته .

وهذا هو في روحه ، وفي انسانيته .

واخيرا هذا هو في سبيله ، وفي استقامته .

وان صيحة الاسلام الخالدة لا تزال حية تدوي في الآذان ، وتصدع بالدعوة الى الحق والى الايمان ، وكأنها ما انزلت الا لتصيح في عرب اليوم ، وعلى أثر ما تركته فينا الاشتراكية الثورية حتى فيما بين دعاتها من احقاد ، وما احدثت فيما بيننا من فرقة وابتعاد : « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » ، و « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين ، وما يذكر الا اولو الالباب . »

٥٧ ـ ونحن اليوم في عهد العلم ، وفي عهد سلطان العقل ، وهو عهد يرحب به الاسلام ، وتحييه مبادىء الاسلام .

فما كان يضرنا بالامس من ضيق العقول ، وجهل المخاطبين :

ـ ويحمل بعضنا على اخفاء شخصية الاسلام في

شخصية « المبادىء الديموقراطية » عندما يسود أصحابها ؛

ــ او يحمل بعضا آخر على اخفـاء شخصية الاسلام في شخصية « المبادىء الاشتراكية » عندما تشتد سواعـد أربابهـا ؛

ــ او يحمل آخرين كما استمعت اليه من بعض ، على تلوين شخصية الاسلام بالوان الزعامة الفردية ، في عهـد انتصار الزعامة النازية اثناء الحرب العالمية الثانية ؛

اقول فما كان يضرنا بالامس ويحمل بعضنا على اخفاء شخصية الاسلام ، لـم يعد يضرنا اليوم : فقـد تفتحت العقول ، وانتصر العلم ، وأصبح العالم أجمع في حضارته الحديثة كأنه اسرة واحـدة ، وتشوقت النفوس بعد مـا أصابها من مآسي الفرقة وتناحر المبادىء الى صوت السماء وصوت السلام . فأعلنوا للعالم يا ايها المسلمون : مبادىء الاسلام الاخوية كما اشرنا اليها ، فانها السبيـل الوحيدة لضمد جروح الانسانية ، وانهـا السبيل الوحيدة لجمـع الكلمة : لا فيما بين ابناء العروبة والاسلام ، بل وفيما بين جميع ابنـاء الانسانية ، ليعيشوا فيما بينهم في طمأنينـة وسلام، على اختلاف عقائدهم واديانهم، واعراقهم وألوانهم: « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلـوكم في الدين ، ولـم

يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » .

٥٨ ــ فمن هنا يا معشر العرب ننطلق . وانني على ثقة ويقين باننا لو انطلقنا في سبيل النهوض ، والتطور ، والبناء من هذه النظرة الاسلامية الانسانية ، الناظمة لشملنا ، والجامعة فيما بيننا ، بل والمؤلفة بيننا وبين جميع بني الانسان الذين يتطلعون الى تطور البشرية ، وتقدمها في ظل العقل والعلم والسلام ، لاجتمعت الكلمة فيما بين القيادات العربية من جديد ، ولعدنا الى من افترقنا عنهم وافترقوا عنا . واننا لاحرص على هذه القيادات منها على نفسها ، على الرغم من خلافنا معها ، وذلك ليستفيد العالم العربي كله من طاقاتها وحيويتها وطموحها في ظل من الاخاء والشورى ، ولنا في ذلك اسوة حسنة بالرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه ، ذلك الرسول الذي وصفه الله لاعدائه فقال : « لقد جاءكم رسول من انفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم » . وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقا لذلك لاشد أعدائه حينذاك ، وهما ابو جهل وعمر بن الخطاب ، وقال : « اللهم أعز الاسلام باحد العمرين » . وكذلك نحن نستوحي اليوم من

ادب رسول الله ، خاصة ونحن في الخلاف انما مختلفون مع فئة عربية مسلمة ، ونرجو منها في حالة الوفاق الخير الكثير .

٥٩ ــ وان المملكة العربية السعودية ، بصفتها دولة اسلامية أقامها الله في منبت العروبة وفى مبعث الاسلام ، لمدعوة بقيادة فيصلها العظيم لان تفتح معركة على هذا الاساس لا بد منها اليوم :

ــ معركة لا تبقي ولا تذر شيئا من الاحقاد ،

ــ معركة هي معركة السلام في أرض العروبةوالاسلام كما أمر به الاسلام ، الى جانب معركة التعايش السلمي مع جميع بني الانسان ،

ــ معركة هي معركة الاخاء والوفاق ،

ــ معركة في سبيل السلام هي معركة التقدمية الانسانية الحقة ،

ــ معركة في سبيل البناء ، وفي ظل الاخاء ، هي معركة ضد الرجعية الصريحة في الرجعة الى الصراع الطبقي كما دعا اليه ماركس قبل أكثر من قرن فيما مضى .

– معركة هي معركة جمع الشمل ، وتوحيد الصفوف فيما بين اعداء اليوم واصدقاء الامس .

وذلك لننسى مـا نردده اليوم عند الملمات مع فرقـة العرب من كلمة : « وا أسفاه » !!

ولنردد بعد جهد فيصل العظيم ووحـدة الصفوف ، كلمة نريد بها من بعد وعند الشدائد جميع القادة العـرب اليوم من غير استثناء ، هي كلمة : « وامعتصماه » .

وانا لجهد فيصل الرشيد المقدام لمنتظرون .

والسلام عليكم ورحمة الله .

# الإسلام أمام الماركسيّة والرأسماليّة

بحث أعد لمؤتمر العالم الاسلامي المنعقد في مقاديشو (الصومال) في ٢٢
شعبان سنة ١٣٨٤ الموافق ١٩٦٤/١٢/٢٦ ثم القى في نفس الشهر على مدرج
جامعة الرياض في المملكة العربية السعودية .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ ان عالمنا الحديث ليجتاز اليوم في حضارته أزمــة هي من اخطر الازمات التي مرت على الانسانية في تاريخها الحضاري ، وذلــك :

ــ لانها اولا أزمة عالــم بكامله ، وليست أزمة أمــة وحــدها ،

ــ ولانها ثانيا هي خطر على العالم كله ، وليست هي خطرا فقط على امة بعينها .

٢ ــ وان عالمنا الاسلامي الذي نجتمع اليوم من اجل البحث في مشكلاته في قلب هذه الازمة العالمية ، ليس الا جزءا من هذا العالم الذي أحاطنا بحضارته : بخيرها وشرها، وفرض علينا مــا نشأ عنهــا من مشكلات زمنيــة لا يمكن تجاهلها واغماض العين عنها ، بل لا بــد من البحث فيهــا

بصفتها مشكلات حيوية عالمية اجتاحت العالم كله، واجتاحتنا في طريقهـا :

ــ فاما ان نجـد لها حلا فننقذ أنفسنا ، ونفخر عندئذ بفتح باب النجاة للعالم المسعور بمصابها ،

ــ واما ان يقتسمنا المعسكران المتصارعـان : فيذوب فريق منا في هذا ويصبح تابعـا له ، ويذوب فريق آخر في ذلك ويصبح ذيلا لـه ، وعندئذ لا اسلام ولا مسلمين ، بل مسخرين وتابعين !

٣ ــ ولذلك فان نجاح مؤتمرنا الاسلامي في اهدافه ، وجمع العالـم الاسلامي حـول قراراته ، والارتفاع به الى مستوى العالم الانساني ، وشق الطريق البناء لهم في هـذا العصر المتلاطم في امواجه ، متوقف كله :

اولا : على تشخيص أسس المشكلات الزمنيـة التي نزلت بعالمنا الاسلامي ، بل بعالمنا الانساني ،

وثانيا ــ على رسم الخطط العملية لحل تلك المشكلات، واستمداد تلك الحلول من روح الاسلام العلمية الانسانية المسالمـة ،

وثالثا ــ على وضع فلسفة اسلامية سهلة واضحــة في ذلك ، والدعوة اليهــا .

٤ ــ وبعبارة أخرى فان الاسلام دين دعوة الى الحياة بنص القرآن الكريم ، فقد جاء فيه قوله تعالى : « يا ايهــا الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم »، وهكذا قد انفرد الاسلام بطابع دعوة عامة الى الحياة، ولكنها حياة تقوم على اسس جديدة تكفل الحيــاة في أمن وسلام لجميع بني الانسان :

ــ فكلما ربطنا ما بين دعوة الاسلام وبين مشكلات الحياة التي يعيش الناس تحت ضغطها ليجد لها الاسلام حلا علميا عمليا يضمن لهم حياة انسانية كريمة ، وأمنا وسلامــا أخويا ، فقد أحيينا رسالة الاسلام .

ــ وكلما أغفلنا هذه الصلة ما بين دعوة الاسلام وبين مشكلات الحياة التي يعانيها الناس ، فلم نعبأ بها ولم نحاول ايجاد حل لها ، فقد ابتعدنا عن روح الاسلام .

٥ ــ وانه لمما يلفت نظر الدارس لتاريــخ الحضارات العالمية المقارن هو أن « جميع النهضات المادية » في التاريخ، كما هو شأن « النهضة في عصورنا الحديثة » ، قد تكشفت

في عز سلطانها عن مشكلة واحدة مشتركة هي أنها هدفت ، عملا بمبادئها ونظامها ، الى جعل فئة قليلة من الناس ، أو أمة من الامم تتحكم :

ــ في مصير لقمة غيرها من الجماهير او الامم ،

ــ وفي مصير أمنها وسلامها ،

وذلك بما اختصت به تلك الفئة القليلة او الامة الغالبة نفسها من امتيازات خاصة وحق الوصاية على الغير ، مما لا يتفق مع مبادىء الوحدة في الانسانية ، ولا مع القواعد الاخلاقية ، ولا مع الحقوق الطبيعية .

٦ ــ ولكن نهضة واحدة ظهرت في القرون الوسطى ، وهي النهضة الاسلامية الانسانية ، شذت عن ذلك ، وكانت وحدها ، وبحكم مبادئها وقواعد نظامها ، قائمة على محاربة هذا التحكم بجميع اشكاله وألوانه ، واشادة نظام اجتماعي جديد يقوم على فكرة الاخاء والتضامن والكرامة للجميع : من غير استغلال ولا عدوان .

٧ ــ وهكذا اتخذ الاسلام من دعوته ونظامه اساسا لمحاربة كل هذه المساوىء :

ــ فلا طبقية ،

ـ ولا عرقية ،

ـ ولا ميزة لاحد بشرف أو بمال ، الا بالتقوى وبالكفاءة •

واوجب نظامه الوحدة بين ابناء الامة في الحقوق ، والتضامن في المسؤوليات وفي حمل اعباء الحياة •

وحسبنا على ذلك :

ـ قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لابيض على اسود الا بالتقوى » ،

ـ وقوله : « المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم ادناهم » ،

ـ وقوله : « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم اليه أنفعهم لعياله » ،

ـ وقال عمر بن الخطاب في شجب ترفع ابن امير مصر المسلم على رجل قبطي من العامة : « منذ كم استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ،

ـ وقال عمر ايضا لجبلة بن الايهم ملك بني غسان وقد صفع هذا رجلا من عامة الناس فهشم أنفه ، فأراد عمر

أن يقتص منه ، فاستنكر جبلة ذلك ، فقال له عمر : « الاسلام سوى بينكما » ،

ـ وأخيرا وفوق كل ذلك ما جاء في القرآن الكريم : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ، معلنا بذلك وحدة بني الانسان ، وحاضا على التعارف فيما بينهم ، واتقاء الاذى في صلاتهم مع بعضهم بعضا •

٨ ـ غير ان النهضة في عصورنا الحديثة لم تلبث في ظل الثورة الصناعية الاوروبية ، وخاصة في القرن التاسع عشر ، آن عادت ادراجها الى امثلة النهضات المادية السابقة : حيث تنكر فيها الانسان لأخيه الانسان ، وتكشفت من جديد عن فئة قليلة من الناس او امة من الامم تحكمت ، عملا بنظامها او بمبادئها ، في مصير غيرها من الجماهير والامم المستضعفة ، وذلك بفضل سلطانها على وسائل الانتاج وتبنيها لشريعة الغاب :

ـ وقد سمي هؤلاء المتحكمون من الفئات «بالاقطاعيين والبورجوازيين » ، كما سمي المتحكمون من الامم « بالمستعمرين » •

ـ وكذلك سمي المستضعفون من الناس «بالبروليتارية» كما سمي المغلوبون على امرهم من الامم « بالمستعمرين » •

فنشأت المشكلة الانسانية عندئذ من جديد ، ولكن على نطاق اوسع من نظائرها في التاريخ القديم ، ثم كان لها اليوم مضاعفات أشد وأخطر على حياة بني الانسان أجمعين ، وذلك مما لم يعهد له مثيل في الخطر على الانسانية لدى الاقدمين ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، ولا يرى كل فريق منهم غير سيادة نظامه ، وحقه وحده في الحياة والبقاء•

٩ ـ وحين صحا العالم الاسلامي اليوم من غفوته بعد رقاد طويل ، كانت صحوته في فترة اشتد فيها الصراع ما بين « المذاهب المادية في الغرب » حول علاج المشكلة، ولكل اسلوبه ومبادئه ، وهجومه ودفاعه :

ـ فهنالك « المذهب الحر » ، وطابعه الاساسي هو « الفردية » في السلوك بجميع مقومات الفرد من خصائص،

ـ وهنالك « المذهب الماركسي » في مختلف اسمائه وتطبيقاته في « الاشتراكية العلمية » ، وطابعه الاساسي هو « الجماعية » وطمس جميع معالم الفردية •

١٠ ـ وكان من لوازم « الفردية » وخصائصها في

« المذهب الحر » مـا يمكن ايجازه فيما يلي :

اولا ــ اباحـة « الملكية الخاصة لوسائـل الانتاج » الثلاث ، وهي : الارض ورأس المال والعمل ،

ثانيا ــ الحافز الشخصي في الربح ،

ثالثا ــ التنافس في الانتاج وفي الاسواق ،

رابعـا ــ التمسك بمقـومات « النظـام الاقتصادي السياسي » نسبة الى « الدولة السياسية » التقليدية ،

خامسا ــ الحفـاظ على هـذه « الدولـة » في ظـل الديمقراطية والحق والعدالة ، وتلك « كسلطة عليا » ترعى مصالح الناس ، وتسوس المجتمع بجميع عناصره ، وتستمد السلطة من مجموع أفراده وفئاته .

١ ــ اما لوازم « الجماعية » وخصائصها في المـذهب الماركسي في مختلف مسمياته وتطبيقاته الاشتراكية مـن : « سوفياتية ، وتيتوية ، وصينية » وما يتبعها من مسميات جديدة ، فهي ايضا كما نوجزها فيما يلي :

اولا ــ « الملكية الجماعية لوسائل الانتاج » الثلاث : الارض ورأس المال والعمل ، وتحريم الملكية الخاصة لهذه الوسائـل ؛

ثانيا ـ محاربة « الفرديــة » بجميع خصائصها المشار اليها اعلاه ، وعدم الاعتراف بها في النظام الجماعي ؛

ثالثا ـ تبني « الصراع بين الطبقات » كوسيلة للتطبيق الاشتراكي ، والمجاهرة بأنه « لم يكن جميع الناس اخــوة في اي حال من الاحــوال » في نظر ماركس ، بــل كانوا « اعداء طبقيين يتصارعون » ، ولذلك كان شعار مــاركس في البيان الشيوعي : « يا عمال العالم اتحدوا » ، وتجنب عن قصد ان يقول : « يا بني الانسان اتحذوا » ؛

رابعا ـ العمل على « تغيير العالم » بجميع نظمه كمــا صرح بذلك ماركس ، « لا تفسيره » على ما هو قائم عليــه من خصائص « الفردية » و « الدولة السياسية » ، ولا يكون ذلك « التغيير » عندهم الا « بتدمير النظام القائم » بجميع لوازمه وخصائصه من : « دين وقانون واخلاق وعدالة بين الطبقات » باعتبارها كلها عندهم من خصائص هذا النظــام الرجعي والبورجوازي ، وان « مراعــاة التعاليم الاخلاقية تضعف من حدة الصراع بين الطبقات » كما أكد على ذلــك ماركس نفسه ؛

خامسا ـ ان ذلك « التدمير » لا يكون الا « بعمل ثوري » ، وذلك بقسم الامــة والاعتماد على « الثوريين »

منهـا ، واحـلال روح « الثورة والصراع » مكـان روح « الحب والاخاء » ؛

وسادسا ــ واخيرا « تصفية الدولة » بعد مرحلة مـن « حكم ديكتاتوري » تتسلمه « طليعة طبقة البروليتارية » ، وبعد أن لا يبقى في المجتمع غير « طبقة البروليتارية » ليحيا الناس عندئذ في مجتمعات جديدة خيالية غير مركزية : تعمل وتنتج « من غير دولـة ولا قيادة سياسية ولا قانـون ولا نظام » ، الا ما يتعارف عليه المنتجون فيما بينهم من سلوك طوعي لا اكراه فيه ، ولا سلطة فوقه لتحميه !

١٢ ــ نعم هذا هو الجو الصاخب المتناقض في مبادئه الذي صحا فيه الاسلام ، وأخذ يشعر فيه بوجوده ، ويتقدم نحو الحياة في ظلاله ، متأثرا بشحنائه وتناقضاته .

وزاد في خطورة الوضع ذلك الصراع الرهيب الذي قام حينئذ في اوروبة ، وخاصة في خلال القرن التاسع عشر ما بين الكنيسة والاشتراكية ، فقد انهزمت الكنيسة أمـام الاشتراكية . وكـانت الاشتراكية تهـدف الى القضاء على الكنيسة بوصفها دينا ، والدين عندهم من خصائص الرجعية والبورجـوازية ، فتحملت الكنيسة عندئـذ وحدها تلـك الصدمة ، ولم تقو على ردها .

وكانت الكنيسة كدين توجه سلوك الامـة والحكم . فلما انهزمت كان انهزامها يعني انهزاما لكل دين • والاسلام اليوم يعاني ، نتيجة لفشل الكنيسة كدين ، انتشار مبـدأ علمانية الدولة ، فضلا عن المحاربة للدين، او اضعاف سلطانه في النفوس على الاقل ، وذلك حيث يحكم معظم الثوريين •

١٣ ـ ومن العبث اذن في هـذا اليوم ، وهـذه هي المشكلة الحية ، أن يحاول رجال الاسلام النهوض باسلامهم دون ان يعالجوا هذه المشكلة الاساسية من مشاكل الحياة، ودون ان يعالجـوها بطريقة علمية وتفهم عميق لاسرارها ، فالاسلام لـن يستطيع ان يستمر في الحياة مـا لم يستمر ايضا على ما كان عليه في معالجة مشكلات الحياة ، لانه كان دعـوة الى الحياة كما استشهدنـا على ذلك من قبل بنص القرآن الكريم ، ويجب ان يبقى دائما كذلك :

ـ دعوة الى الحياة ،

ـ وثقافة حية فيها ،

ـ وحلالا لمشاكلها ،

ـ وهاديا الى ما هو أقوم في بنائها ،

ـ وان يعتمد في كل ذلك على « العلـم والعقل » .

وهذا هو فخر الاسلام في معركة بناء الحياة: أذ أعلن القرآن الكريم طريقته العلمية العقلية هذه بكل صراحة ، فقال تارة: « نفصل الآيات لقــوم يعلمون » ، وقال طورا : « كذلــك يفصل الآيات لقوم يعقلون » ، وقال في جملة ذلك ايضا : « قل هذه سبيلي : ادعــو الى الله على بصيرة ، أنا ومــن اتبعني » • ومن حسن الحظ ان هذا العصر هو عصر «العلم والعقل» ، فهو اذن يجب أن يكون عصر الاسلام بما امتــاز به من بناء قواعده على العقــل والعرفان ، وبما حمله مــن رسالة كريمة الى بني الانسان •

١٤ ــ فما هي اسس المنهج الاسلامي العلمي في تلــك المشكلة الحية ، وما هي فلسفته في تلك الاسس من اجــل القضاء على التخلف في عالم المسلمين ؟

لقد قيل لي ان بعض المسؤولين في مصر كان توجــه في بدء أمر الثورة الى كبار علماء الازهر ، وطلب اليهم ان يقدموا اليه نظرية اقتصادية علمية اسلامية مفصلة ليبني عليها نهوض مصر في ثورتها الجديدة ، ولكنه لم يحظ منهم حتى الآن بجــواب •

وهذا هو ايضا الرئيس ايوب خان في باكستان قــد كتب واعلن كما قرأنا عنه وطلب الى العلماء في هذا المقــام

« ان يحددوا رسالة الاسلام في اسلوب بسيط ، وبلغة العصر ، وان يقدموا ذلك للناس حتى يصبح مقياسا يضبطون به سلوكهم ، ومعيارا لاحكامهم » ، وقال : « واننا ان لم نفعل ذلك فسوف تدهمنا الفكرة اللادينية التي تحيط بنا من كل جانب » .

١٥ ــ نعم هذا هو طلب كل مسلم ، بل وطلب كل دولة اتخذت من الاسلام سبب وجودها ، أو قوام بقائها ، بل هو طلب المجتمع الانساني كله في هذا اليوم ، رغبة في ايجاد مذهب اقتصادي حي يسمو على صراع المذهبين ، ومادية المنهجين ، وينقذ الانسانية من لهيب النارين : في ظل العلم والسلام ، والحرية والكرامة ، وحماية جميع الخصائص الانسانية من فردية وجماعية ، وقيم روحية ، ومبادىء اخلاقية .

فان استطاع المسلمون معالجة المشكلة ، وان يوضحوا فيها سبيلهم ، وان يعلنوا علمية فلسفتهم ، وان يدعوا اليها على علم وعقل وبصيرة ، اعادوا عندئذ للدين في الدولة الحديثة اعتباره في كل مكان ، بعد ان فقد اعتباره اثر معركته فيما بين الكنيسة الاوروبية والاشتراكية باسم الاديان ، ويومئذ يفرح جميع المؤمنين ، مثل فرحة المسلمين

اثر انتصار البيزانطيين المسيحيين على الفرس المجوسيين •

١٦ ــ هذا ، وان الاسلام ايها السادة مع كل من المذهبين الماديين المشار اليهما اعلاه في نظريتيهما الاقتصاديتين « لقاءات » في الاسس الى حد ما ، وذلك :

ــ في « فردية » المذهب الحر ، ولكن من غير استغلال لاحد ولا طغيان على الجماعة ،

ــ وفي « جماعية » المذهب الاشتراكي ، ولكن على اساس الاعتراف بمكان « حيوية الفرد » في الجماعة ، وبتصرفه الحر « المسؤول » فيه عن مصلحة الفرد كما هو مسؤول فيه عن مصلحة الجماعة •

ولذلك فان الاسلام على كل حال لا يقول « بالفردية » وحدها ، كما لا يقول « بالجماعية » وحدها ، فضلا عن اختلافه في « مفاهيم الفردية والجماعية » لدى الاسلام كمذهب « حر وجماعي » في آن واحد ، عنها في المذهبين : « الحر والاشتراكي » •

١٧ ــ ولذلك فقد بالغ الاسلام في الاعتراف « بالفردية » ، حتى ألقى على الفرد من المسؤولية ما ميزه في كل عمل من اعماله عن الجماعة ، واوجب عليه أن يسعى

في الحياة بكل مـا اوتي من قوة ، وقال فيه : « وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى » .

ولكنه جعل من «الفرد» رجلا مسؤولا مسؤولية كاملة في نشاطه الشخصي عن حظ « الجماعة » في عمله ، ومقدار مصلحتها في سعيه ، وجـاء في الحـديث الشريف تأكيدا لذلك : « من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

١٨ ـ وكذلك بالغ في الحرص على الروح «الجماعية» في المجتمع الانساني حتى جعلها وحدها « عنوان السلامة » فقال فيها : « ومـن يشاقق الرسول من بعـد ما تبين لـه الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ، ونصله جهنم ، وساءت مصيرا » .

ولكن الاسلام في مقابل ذلك لم يمح « الفرد » امام « الجماعة » ، بل جعل كيانه وسلامته « عنوانا » ايضا على سلامة الجماعة ، وجعل الجماعة مسؤولة مسؤولية كاملـة كذلك عن حظ الفرد في عملها ، ومقدار مصلحته في سعيها ككيان متميز في ذاته ، وقال في ذلك : « مثل المؤمنين في توادهـم وتراحمهم مثل الجسد الواحـد : اذا اشتكى منه عضو ، تداعى لـه سائر الجسد بالحمى والسهر » ، فكان الفرد في الجماعة كما يريدها الاسلام مثل اللبنة الواحدة في

البرج المسلح العظيم ، ولا يمكن ان يكون بناء البرج العظيم صلبا وصحيحا ، ما لم نضمن في كل لبنة نفس المقومات المطلوبة للبناء في مجموعه من الصلابة والصحة ... ، والا فقد أقمنا بناءنا على اسس لا تلبث ان تنهار .

١٩ ــ وهكذا فان الصراع ما بين المذهبين الماديين :

ــ « المذهب الحر » القائم على فكرتي « الفردية والحرية » ،

ــ و « المذهب الماركسي » القائم في جميع اشكاله واسمائه على فكرتي « الجماعية والاشتراكية » دون أية حرية للفرد ولا ظهور لمسؤوليته ،

انما يتبنى كل منهما جانبا واحدا فقط من جانبي الانسانية ، او عنصرا واحدا فقط من عنصري الانسانية المتماسكين في روح كل فرد من الانسان :

ــ الانانية الفردية ،

ــ والجماعية الاشتراكية .

٢٠ ــ بيد ان النظام الاقتصادي الذي يريد أن يقيم الانسان على عنصر واحد فقط من عنصريه ، سواء كان

النظام فرديا او جماعيا ، فهو مثل الذي يريد ان يبتر من الانسان احدى رجليه ، وان يجبره بعد ذلك أن يخرج على طبيعته ، وان يغير من عالمه وخليقته ، وان يتكلف القفز بعد ذلك بكل مشقة فقط على رجل واحدة ، بعد ان كان يعدو عدوا وبسهولة على رجلين .

وان هذا « لتغيير بالفعل للعالم » كما اراده ماركس ، لا تفسيرا له كما اراده الفلاسفة ، ولكنه هل هو حقيقة تغيير لعالم الانسان الى ما هو افضل وأصلح كما يقتضيه منطق « الجدل الماركسي ـ الديالكتيك » ؟

وهذه هي حقيقة كل من النظامين السائدين اليوم : ان أصر كل منهما على البقاء في حدود « فرديته » أو في حدود « جماعيته » .

٢١ ـ ولذلك أخذ العلماء اليوم يتخوفون من عدم تقدم دراسة الحلول الممكنة للمعضلة الاساسية في الانماء الاقتصادي ، سواء في النظام الفردي ، وفي النظام « الجماعي » ، وتلك المعضلة هي معضلة عدم تكافؤ زيادة الانتاج مع زيادة الولادات البشرية فضلا عن العوارض الزمنية القاضية على الانتاج ، وذلك مما سيعرض البشرية الى كارثة انسانية لا سابق لها في التاريخ اذا لم نستطع

دفع عجلة التقدم في الانتاج لدى كافة الامم :

اولا ــ بدوافع بعيدة عن الانانية الفردية واستغلالها المعروف عند الآخذين بنظام الفردية ،

ثانيا ــ بدوافع بعيدة ايضا عن تعطيل مسؤولية الفرد، ذلك التعطيل الذي شل « حوافز الانتاج » لدى الفرد عند الآخذين بنظام « الجماعية » .

٢٢ ــ كما اخذ العلماء يتساءلون فيما اذا كان من الصحيح أنه ليس هناك الا طريقة واحدة واسلوب فريد للتطور والانماء ؟

ولقد أجاب على ذلك بعض البحاثين من علماء الاقتصاد في الغرب ، وهو جاك اوستروي Jacque Austruy في كتابه « الاسلام امام التطور الاقتصادي : الصادر حديثا في سنة ١٩٦١ في باريس ، حيث قال فيه بصراحة : « ليس هناك في الحقيقة طريقة وحيدة وضرورية لا بد منها للانماء الاقتصادي كما تريد أن تقنعنا به المذاهب القصيرة النظر في النظامين الاقتصاديين السائدين ١ » .

٢٣ ــ ولذلك ألح هذا المؤلف في كتابه المذكور اعلاه على ضرورة التماس المذهب الثالث في الاسلام نفسه ، لانه

ليس فرديا ولا جماعيا ، ولكنه يجمع بين الحسنيين .

غير أنه شكا من صعوبة البحث على من كان اجنبيا عن الاسلام لاستخراج مواطن القوة والابداع التي يمكن أن توجه هذا النظام الجديد ، وان تعبر فيه عن مشكلة التنمية الاقتصادية بلغة جديدة (١) .

٢٤ ـ ولذلك ألح هذا المؤلف ايضا على المسلمين بضرورة العودة الى الاسلام نفسه ، والى دراسة قواه الكامنة فيه ، لشق الطريق نحو نهوض المسلمين عوضا عن التقليد الاعمى (٢)، وجاهر بأن الاسلام يتمتع بامكانيات هائلة ، وانه اذا ما وجد الطريق الصحيح فان كثيرا من الصعوبات الاقتصادية ، التي ظهر للاقتصاديين تعذر التغلب عليها حتى الان ، سوف يحلها الاسلام (٣) .

٢٥ ـ وهكذا دعا هذا المؤلف المسلمين الى الاسراع قبل فوات الوقت لوضع الطريقة المنبثقة عن خصائصهم وقواهم الكامنة المبدعة الهائلة ، ثم حذرهم بأنهم ان لم يفعلوا ذلك فسوف يجبرون على قبول تغييرات غير سليمة

---

(١) الصفحة ١٦ – ١٧ .
(٢) الصفحة ٨٠ .
(٣) الصفحة ١١٢ .

في نظمهم الاساسية ، وذلك نتيجة لاتباع منهج في الانماء مفروض عليهم من الخارج ، وفي هذه الحالة سيقضي على الاسلام كمنهج حضاري مستقل (١) •

٢٦ ـ ومما يؤيد هذه الحاجة الى مذهب جديد في الانماء يتسامى عن نقائص المذهبين السائدين ، ويعرض حلولا جديدة للمشكلات البشرية في التنمية الاقتصادية التي لم يتغلب عليها علماء الاقتصاد حتى الان ، هو ان النظامين السائدين انفسهما لم يستطيعا تجاه الوقائع الا أن يتفاعلا فيما بينهما : ابتعادا عن سيئة ، وطلبا لحسنة •

٢٧ ـ هذا وقد بدأ « المذهب الحر » اولا بهذا التفاعل الخير : اذ أنه قد خرج منذ مدة طويلة على « مادية » الفرد وانانيته ، وأخذ يخفف طوعا وكرها من غلواء هذه « الفردية والانانية » بما يدخله يوما فيوما على نظامه من مبادىء العلاقات الانسانية وتطبيقاتها •

غير انه بقي هذا النظام « فرديا » في طابعه على كل حال •

٢٨ ـ وكذلك أخذت مطالع التفاعل تظهر ايضا الى

---

(١) الصفحة ١١٢ – ١١٣ •

حد ما في « النظام الماركسي » ، وذلك بما اخذ قادة هذا النظام يعلنونه من يوم الى آخر :

اولا ــ من فكرة « التعايش السلمي » مع البلاد ذات «النظام الحر » ، وقد كان ذلك محرما من قبل .

ثانيا ــ بالبدء بتوسيع « حدود الملكية » الزراعية والحيوانية الخاصة ، بل و « الغائها » ايضا في كل من جمهوريتي « اوكرانية L'Ukranie و « ايستونية L'Estonie » السوفياتيتين ، كما أعلنته في ٦ تشرين الثاني لسنة ١٩٦٤ كل من وكالة تاس Tasse » السوفياتية ووكالة « روتر Reuter » الانكليزية ووكالة « الصحافة الفرنسية A. F. P » .

ثالثا ــ باعطاء الحق للافراد في السوفييت باستثمار وفرهم من النقد وايداعه في المصارف وتناول الفائدة عليه ، وقد كان ذلك ممنوعا من قبل باعتباره كسبا من رأس المال ، في حين ان الكسب في النظام الماركسي لا يكون الا من طريق العمل .

رابعا ــ بالاخذ بفكرة « حافز الربح الشخصي » عند الفرد الى حد ما ، وباعطائه الحرية في ذلك ضمن حدود

محـــدودة كما هـــو الشأن في جميع مصانع يوغـــوسلافية الشيوعية ، ومبدأ «التسيير الذاتي» من قبل القائمين عليها من مهندسين وعمال ، وكما أعلنته ايضا منذ ايـــام جريـــدة « برافدا » السوفياتية في ٦ ــ ١٢ ــ سنة ١٩٦٤ من انـــه سيكون موضوع بحث لدى مجلس السوفييت الأعلى •

غير ان هذا « النظام الماركسي » رغم تفاعله ايضا مع « النظام الحر » ، قد ظل كذلك نظامـــا « جماعيا » على كل حال ، ولا يعطي للفرد أي اعتبار في الوجود الا مـــن وراء الجماعة وتبعـــا لها •

٢٩ ــ وما دام التفاعل مـــا بين المذهب « الفـــردي » والمذهب «الجماعي» لم يستطع تغيير طبيعتيهما المتناقضتين ، وما دامت البشرية ليست فقط « فرديـــة » ، وليست فقط « جماعية » ، وما دام الاسلام يجمع بين الحسنيين :

ــ فقد أصبح من واجب العالـــم الاسلامي اليوم أكثر من أي يوم آخر أن يشمر بسرعة عن ساعـــد البحث العلمي، وهو متيسر وموفور فيما اذا تبنت الاتفاق عليه فقط دولـــة واحدة من دول العالـــم العربي او الاسلامي خلال بضعـــة شهـــور •

ــ وعلى العالم الاسلامي فور انتهاء بحثه العلمي أن يضع المنهج الافضل الصحيح لخيره ولخير الانسانية بعد أن طال الانتظار .

ــ وان يضع فلسفة هذا المذهب على اسس علمية صحيحة تسمو على الفلسفة المادية لكل من المذهبين الاخرين، وتملأ الفراغ امام المتعطشين الى الثقافة من شبيبة وكهول .

ــ وان يضع تخطيطا يشمل عالميه : العربي الصغير والاسلامي الكبير ، في وحدة البناء والانماء ، وذلك في سبيل سلامة عالمنا الاسلامي وعالمنا الانساني من الفناء ، لان التخطيط الاقتصادي قد ثبت انه كلما اتسعت قاعدته زادت على الانسانية فائدته .

٣٠ ــ هذا ، ولما كان الاسلام :

ــ عالميا في وجهته ،

ــ وانسانيا في فكرته ،

ــ وسلميا في دعوته ،

فان من واجب العالم المتحضر مساعدته ودعمه في تخطيطه الموحد في الانتاج، ليساهم العالم الاسلامي الكبير

المترامي الاطراف في خدمة الانسانية وتخفيف شقائها ، وليكون هذا التخطيط الشامل المسالم في ظل الحرية والاستقلال أنموذجا مثاليا على تضامن فريق كبير من الانسانية : في التخطيط للنهوض ، وفي العمل الجدي الانساني في الانشاء وزيادة الانتاج •

٣١ ــ وكم سيكون حظ الانسانية عظيما فوق حظ المسلمين فيما لو اتسعت قاعدة التخطيط للانماء لتضع في الانتاج طاقات من البشرية تضم عدديا سبعمئة من الملايين وتحتوي على ثروات طبيعية وامكانيات هائلة من مراكش الى أقاصي اندونيسية تفوق خيال المفكرين •

٣٢ ــ ويسرنا يوما ما وقد فتح العالم الاسلامي فيما بينه طريق التخطيط الشامل للتنمية والانشاء، وعلى مستوى دولي : عربي واسلامي متكامل في وحدة البناء ، ان نرى أنفسنا دعاة لتخطيط عالمي بعيد عن التنافس والسيطرة والاستغلال ، وذلك من اجل وحدة انسانية عالمية، وفي ظل الحب والاخاء ، لا في ظل الحقد والصراع •

٣٣ ــ واننا لنفخر عندئذ اننا لا ندعو الى وحدة التخطيط العلمي والسلمي من أجل عالمنا الاسلامي وحده ، بل من اجل العالم الانساني كله : « فالخلق كلهم عيال الله ،

وأحبهم اليه أنفعهم لعياله » ــ حديث شريف ــ

٣٤ ــ وبذلك فقط نعيد الى الشبيبة الثقة بالقيم الروحية في كل مكان ، كما نعيد اليهم الثقة بقدرة هذه القيم على حل معضلات الانسانية في الحياة ، تلك المعضلات التي لم تتغلب عليها حتى الان كما اسلفنا جميع ما عرفنا من مناهج مادية : فردية كانت او جماعية .

كما نفتح بذلك باب التعاون في هذه السبيل مع جميع الاديان التي تؤمن بالله ، وتحترم الانسان : من غير عرقية، ولا طبقية ، ولا عدوان .

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » ــ قرآن كريم ــ

ألا : لذلك فليعمل العاملون .

# الإِسْلام والصِّرَاع الطَّبقي

بحث أعـد لمؤتمر رابطة العالـــم الاسلامي في مكة المكرمة المنعقد في ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٨٤ الموافق ١٧/٤/١٩٦٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ وبعد .. فأرى من اول واجباتي وقد دعيت لالقاء كلمة في هـذا المؤتمر الدولي الاسلامي العظيم ، الـذي دعت اليه « رابطة العالم الاسلامي » ، هو ان اعلن شكري العظيم للقائمين على امر هـذه الرابطة ، وللذين فكـروا بانشائهـا ، وللذين ساهموا في اعمالها ، وأخص بالـذكر المملكة العربية السعودية التي فسحت لهذه الرابطة مجـال العمل بكل حريـة في أرضها ، وفي جوار مهبط الوحي ، وفي ظل حرم الله ، وخاصة في هـذا الوقت الذي تقطعت فيه صلة العالم الاسلامي بعضه مع بعض ، وفي هذا الوقت نفسه الـذي تعقدت فيه المشكلات الانسانيـة ، وازدادت فيه أزماتها حدة وأنانية ، واخذ فيه الصراع العالمي يتعاظـم خطره، ويتطاير عن اليمين وعن الشمال شرره، وينذر بانهيار السلام نهائيا على الارض ، ويهدد العالم اجمع في حضارته، بل وفي مصيره وبقائه .

٢ ـ نعم انني اعلن شكري العظيم لجيمع الذين فكروا بانشاء هـذه الرابطة ، وللـذين قرروا عقد هـذا المؤتمر الاسلامي العالمي في هذا الشهر المبارك من اشهر الحـج ، ولجميع الذين لبوا الدعوة هذه ليشهد المسلمون في حجهم ما ندبهم اليه من « منافع لهم » ، وليذكروا فيه « اسم الله في ايام معلومات » ، مصداقـا لقـوله تعالى : « واذن في الناس بالحج ، يأتون رجالا وعلى كل ضامر : يأتين من كـل فج عميق :

ـ ليشهدوا منـافع لهم ،

ـ ويذكروا اسم الله في ايام معلومات » .

٣ ـ انني كمسلم ، اعلن شكري الى جميع هـؤلاء ، الذين ارادوا أن يعيدوا الى الحج حكمته ، والى الاسـلام دعوته ، فاذنوا في فريق من اهل الفكر الاسلامي بالحج ، فلبوهم سراعا شاكرين حامدين ، ولخير مؤتمرهم منتظرين .

٤ ـ وبعد .. فان في العالـم الاسلامـي اليوم في جملته والحمد لله روحا خيرة :

ـ حركة بعد وقوف .

ـ ويقظة بعـد غفلة .

ـــ ورغبة في مسابقة ركب الحياة بعد ان فاتهم ، لان الاسلام بنص القرآن الكريم هو دعـــوة الى الحياة عملا بقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعـــاكم لمـــا يحييكم » •

٥ ـــ غير أن فقدان الدراسات الاسلامية الحية لاختيار طريقنا الى الحياة ، وافضل الاساليب فيها بعد الانتفــاضة من الموت ، وفقدان مجالس الشورى العلمية التي أمر بهـــا المسلمون فيما بين رجال العلم ، ورجال القيادات فيهـــم ، بل تقطع الصلات فيما بينهم ، كل ذلك جعل العالم الاسلامي في شعوره بضرورة مسابقة ركب الحياة ، ينقسم اليوم على نفسه :

ـــ فيتخير فريـــق منهم اسلوبا من اساليب الحيـــاة النافذة في بعض بقاع الارض ،

ـــ ويتخير فريـــق آخر اسلوبـــا آخر مـــن اساليب الحياة النافذة ايضا في جانب كبير من العالم •

وبنتيجـــة ذلك ، اندفـــع الفريقـــان في صراع خطير فيما بينهم تبعا لصراع تلك المذاهب فيما بينها ، كما اخـــذ الفريقان تبعا لذلك ايضا في التنابذ بالالقاب ، بل واشهار الحراب على انفسهم من اجله •

٦ ـ وكان من نتاج كل ذلك ، أن تقلت نيران المعركة فيما بين المعسكرين العالميين الى صميم عالمنا الاسلامي ، وخاصة العربي منه ، واصبحت المعركة فيه حارة لا بادرة ، واستأثرت بطاقات كبرى من خيرة طاقات القيادات الاسلامية ، التي لا نزال نحرص عليها وعلى طاقاتها ، وان اصابنا منها حتى الآن ما أصابنا بسبب اختلاف وجهات النظر معها . ولنا في الحرص عليها اسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكثيرا ما دعا لمن آذوه ، وحرص على بقائهم لا على ذهابهم وهم مشركون ، فكيف بهم اذا كانوا مسلمين ؟ ولذلك وصف الله رسوله لاعدائه، فقال لهم مخاطبا : « لقد جاءكم رسول من انفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم » ، ودعا رسول الله مصداقا لذلك لاشد أعدائه حينذاك ، وهما ابو جهل وعمر بن الخطاب ، وقال : اللهم أعز الاسلام باحد العمرين .

وكذلك نحن نستوحي من أدب رسول الله ، خاصة ونحن في منزل وحيه ومسقط رأسه ، وفي الخلاف انما نحن مختلفون مع فئة مسلمة ، ونرجو منها في حالة الوفاق الخير الكثير ، كما اننا نرى ان هذه المعركة ، ان استمرت بين المسلمين فسوف تفقدنا جميع خصائصنا ، سواء منها

القومية ، او الاسلامية ، وسوف نفقد بذلك في آن واحد:

- مثلنا الاسلامية العليا .
- وشخصيتنا المستقلـة .
- ورسالتنا الانسانية .

٧ - ويسرنا أن جميع المتخاصمين في عالمنا الاسلامي لا يزالون يعلنون والحمد للـه التمسك بروح الاسلام في حركتهم ، والحرص على الصلـة به في بنائهم ، ولو ردوا ما اختلفوا فيه الى الله والرسول لوجدوا الله توابا رحيما ، ولاهتدوا فيما ينشدون الى طريق مستقيم ، بل الى اقـوم طرق الهداية والحياة ، فقد قال الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم : « وانك لتهدي الى صراط مستقيم » ، كما قـال ايضا : « ان هـذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » .

٨ - وانني أرى ان هـذه المشكلة القائمة اليوم في أرض الاسلام هي من اعظم المشكلات الاسلامية التي لاتهدد أمتنا فقط كمسلمين ، بل سلام الانسانية اجمعين ، لانها ان استمرت فسوف تخرج بنا عن شخصيتنا الاسلامية لنصبح اتباعا لهؤلاء او لأولائك .

ولمـا كانت بلادنـا الاسلاميـة على اهمية كبرى في

مواقعها الاستراتيجية ، فان خروجها عن شخصيتها المستقلة بالاسلام ، سوف يجعل المعركة في أرضها اشد منها فيما بين المعسكرين في كورية وفيتنام ، بل سوف يحرم الانسانية كلها من دور الاسلام فيها ، الذي نأمل منه ، اذا ما أحكمنا دراسة مشاكلنا الاسلامية الحية ، على ضوء مشاكل الانسانية ، أن نفتح بواسطته بابا للسلام الانساني العالمي ، وان نعزز به روح الدين في النفوس ، وأن نثبت به فضل المثل الروحية على المثل المادية ، في تلمس معالم الطريق الصحيح ، وبناء العالم الجديد ، وذلك على اسس من الحب والاخاء ، لا على اسس من الحقد والصراع •

٩ ــ ولذلك فان مؤتمر العالم الاسلامي ، المنعقد اليوم في جوار حرم الله، يتوجب عليه أن يعمل في أول ما يعمل له على الاتصال اتصالا مباشرا بجميع القيادات الاسلامية ، وعلى دعوتها للاجتماع مع بعضها ما دامت جميعها متمسكة باسلامها ، وذلك لرد الخلاف في وجهة النظر فيما بينها الى الله والرسول وأولي العلم منهم •

وان المؤتمر ان استطاع تحقيق ذلك فقد كسب للحركة الاسلامية قيادات نرجو منها عندئذ الخير في العمل والبناء ، كما يكون المؤتمر قد ضمن لهؤلاء القادة جميعهم

نجاح البناء في ظل الاسلام والسلام ، وشكر التاريخ ، وتقدير الاجيال .

١٠ – غير أنه سيكون من العبث دعوة القيادات الاسلامية للاجتماع قبل اعلان المبادىء المجمع عليها في الاسلام في هذا المجال ، تلك المبادىء المعلومة من الدين بالضرورة ، والمجمع عليها من غير شك ، والمؤيدة بكتاب الله وسنة رسوله واجماع أئمة المسلمين، وبوقائع التجارب، وقواعد البحث والعلم اليقين .

١١ – ويؤسفني أنني في هذا المقام ، وفي هذا الوقت القصير ، لن استطيع أن اتناول فيه بالبحث ، والتحليل ، جميع المبادىء الاساسية ، التي تصطرع فيها المذاهب العالمية ، من أجل التطور والبناء ، ليقول فيها الاسلام قوله الصريح ، الذي يسألنا عنه السائلون كل يوم، وليبدي فيها رأيه العلمي الذي لا عوج فيه ، مدعوما بالوقائع ، ومؤيدا بالتجارب : اذ أن تناول كل ذلك لاتتسع له كلمة في اجتماع كهذا ، بل لا بد له من كتاب ضخم ، كما لا بد له من مؤتمر خاص .

١٢ – ولذلك قصرت كلمتي اليوم على مبدأ «الصراع الطبقي» في بناء المجتمع الجديد ، وهو الخاصة الاولى

والاساسية « للاشتراكية الماركسية » والمسماة «بالاشتراكية العلمية» ، كما قصرت كلمتي السابقة ، التي القيتها في مؤتمر العالم الاسلامي ، الذي انعقد منذ ثلاثة اشهر في « مقاديشو » عاصمة الصومال :

اولا ــ على مفهوم « المذهب الحر » في الجملة او ما يسمى « بالرأسمالية » .

ثانيا ــ على مفهوم « المذهب الماركسي » في الجملة ايضا ، او ما يسمى « بالاشتراكية العلمية » .

وتناولت حينئذ بالشرح والايضاح الطابع الاساسي لكل من المذهبين ، ليعرف الجميع حقيقة كل سالك من عالمنا ، واين هو في سلوكه منهما ، واوضحت موقف الاسلام تجاه كل من المفهومين ، وان الاسلام في قواعده العلمية خير منهما وابقى ، سواء للمسلمين ، او لبني الانسان أجمعين .

١٣ ــ وارجو ان تكون كلمتي اليوم في هذا المبدأ الخطير على ايجازها ، مضمومة الى سابقتها ، خير مفصح عن معالم الطريق الافضل ، والأسلم لخيرنا ، ولخير الانسانية .

١٤ ــ ان مبدأ « الصراع الطبقي » هو الاساس لكل

شيء في مفهوم « الماركسية » ، او ما يسمى « بالاشتراكية العلمية الثوريـة » .

وهـو مبدأ يقـوم على قسم المجتمع الحـاضر الى طبقتين ، لا يجوز التوفيق والاصلاح بينهما ، واقامة السلام فيهما ، وهما طبقـة العمال وطبقـة المالكين ، بـل توجب الاشتراكية العلمية الثورية تغذية الاولين بالحقد ليثـوروا وليقضوا نهائيا على الآخرين المالكين ، من دون أي احترام لاحكام القوانين ، ولا لمبادىء الاخـلاق ، ولا لحقـوق الانسان ، ولا لقواعد الدين ، كما صرح بذلك مـاركس نفسه ، وقد يمنون عليهم بالبقاء في الحياة ، ولكن ليذوقوا بؤس الهوان ، وعداء الحكام .

١٥ ــ ولكن اذا قضى العمال على المالكين القدمـاء فهل سيكون العمال خلفاء للمالكين ؟

ان النظرية الماركسية في الاشتراكية العلمية صريحـة بنفي ذلك ، لانها تحرم على كـل فرد ملكية أي شيء مـن وسائل الانتاج الثلاث ، في الارض ورأس المال والعمل . وهكذا يغدو العامل نفسه ايضا غير ذي حق في أن يملك ، حتى ولو انتاج عمله الشخصي ، لان ملكية هـذه الاشياء المنزوعة من المالكين لو وزعت من جديد على العمال ليملكوها

لنشأت من ذلك طبقة مالكة جديدة ، ولعاد الامر من جديد يتطلب القضاء على المالكين ، وهكذا دواليك .

١٦ ـ ولذلك كان « الصراع الطبقي » وسيلة فقط :

ـ لحقن العمال اولا بالحقد على جميع من عداهم من الناس .

ـ ثم لتجنيدهم ثانيا بجميع دعايات الاغراء ليصبحوا أداة للثورة الهوجاء .

ـ وأخيرا ليصبح العمال بانفسهم الوسيلة الفعالة للقضاء على آخر أمل للعامل في ان يكون يوما ما « مالكا وحرا وطليقاً » .

١٧ ـ ولكن كيف يندفع العمال عندئذ ليكونوا اداة للثورة ، اذا عرفوا منذ الآن بهذا المصير المحتوم . ؟؟

١٨ ـ لذلك ذهبت عبقرية رجال « الاشتراكية العلمية الثورية » الى التصريح بكلمات غامضة على العمال ، بل وغامضة ايضا على جميع رجال العلم والفلسفة الاشتراكية حتى الآن ، وقالوا باحلال ما سموه « بالملكية الجماعية » او « بملكية الشعب » مكان « الملكية الفردية » او « ملكية الفرد » ، على ان يكون ذلك من دون ميزة لواحد من

الجماعة على آخر ، حتى ولو في حق التمثيل للآخرين ، ولا سلطة لاحد منهم تميزه عمن عداه !!

وكثيرا ما يتبع رجال « الاشتراكية العلمية الثورية » قولهم هذا بقول آخر تشجيعا للعمال فيقولون : « المعامل للعمال ، والارض للفلاحين » فيفرح العمال ، ويطرب الفلاحون !! ، ولكن دون ان يكون لذلك القول أي اعتبار صحيح في الاشتراكية العلمية الثورية .

بل ويضيفون ايضا تبريرا لدكتاتورية الدولة وعنف سلطات الحكم على الجميع : « ان الدولة هذه نفسها مرحلة للتطبيق الاشتراكي لا بد منه ، وان الدولة هذه لن تلبث فيما بعد أن تلغى ليتحرر جميع العمال من ربقة الحكم ، بعد ان حررتهم الدولة من ربقة ارباب العمل ، وانهم سيصبحون حينذاك سادة انفسهم « من غير دولة ولا قيادة سياسية ولا قانون ولا نظام ، الا ما يتعارف عليه المنتجون فيما بينهم من سلوك طوعي لا اكراه فيه ، ولا سلطة فوقه لتحميه !! » .

١٩ ــ ولكن العمال المحكومين لايلبثون ان يروا الحقيقة المرة ، وانهم انما اتخذوا فقط وسيلة للثورة ولتجريد المالكين من ملكيتهم ، ثم لتمكين السلطة في

رقابهم • ولو انهم كانوا على شيء من الوعي الحقيقـي ، لعرفوا فورا ، أن ماتمنوه من ملكية مكان المالكين القدماء، ان صحت فقد عـادت على الموضوع عندئذ بنقيضه ، أي لأحدثت طبقة جديدة من المالكين ، مكان المالكين القدماء، في حين ان هدف الماركسية من كل هذا الغموض ، انما هو اعدادهم كأداة للقضاء نهائيا على المالكين القدماء ، وعلى كل أمل من بعدهم في أية ملكية جديدة ، ولأي كان مـن الناس اجمعين •

٢٠ ــ واذا غمض امر « الملكية الجماعية » على العمال فلا عجب في ذلك ، اذ أن علماء الاشتراكية انفسهم حتى اليوم لم يتفقوا على مفهومها ، لان مفهوم الملكية كيفما كان يتطلب مالكا مـن غير شك ، واذا حرمنـا على « الفرد » ملكية وسائل الانتاج :

ــ فمن هي « الجماعة » المالكة ؟ أهي جماعة القرية ، ام جماعة المدينة ، ام الجماعة في الدولة كلها ؟؟

ــ واذا كانت هي « جماعة الدولة كلها » فكيف يمكن ادارة هذه الاشياء من قبل الجماعة المجتمعة كلها ومن غير سلطة فوقها ، ومن غير حق احد في التمثيل للآخرين ، ومن غير تمييز بأي سبب كان لأحد في السلطة والحقوق علـى

الآخرين ، ومن غير اللجوء مجـددا ايضا الى افراد يتمتع بعضهم بأفضلية على البعض الآخر في الأجر والسلطان ؟؟

ــ واذا كانت هي جماعة القرية فقد يصح هـذا في الاراضي ، ولكن كيف يصح هذا في الامور المشتركة مـا بين جماعات القرى ، او مـا بين جماعات المدن ، بل ومابين جماعة الدولة كلها كما هو الشأن في الخطوط الحديدية ، وفي الصناعات الثقيلة ؟؟

٢١ ــ وهكذا فقد ادى نزع الملكية لا الى تمليكهـا للعمال ، بـل الى تسليمها لسلطة فوقهم تتمتع من جـديد في آن واحـد بجميع ميزات الملكيـة الفرديـة ، وبجميع السلطات الحكومية ، الا ما قـد ذهبت اليه الاشتراكيـة التيتوية من اعطاء العمال مـا قد سموه « بحـق التسيير الذاتي » للمعمل ، وغـدا العمال بذلك على كل حال امام مالك أقوى واشرس من المالك القديم ، فوق اغلاق الامل نهائيا امام كل عامل بـان يكون يوما مـا مالكا وحرا في ملكيته ، وطليقا في تصرفه ، مما هبطت معه سوية الانتـاج بل وكميته ايضا ، وذلك لفقدان « حافز المصلحة الخاصة » للعامل كما أثبتته الوقائع الرسمية في البلاد الاشتراكية ، وكما اشار اليـه الزعماء السوفييت أخيرا في تقاريرهـم العلنية ، وصحفهم اليومية :

ـ وخاصة ما جاء في تقرير الرئيس السوفيتي الجديد اليكسي كوسيغين ، الذي جاهر فيه بـان السبب الوحيد لتدهور الانتاج الزراعي يعـود الى « فقدان المصلحـة الخاصة بالفلاح » ، بدليل ان الملكية الخاصة للاراضي في الاتحاد السوفيتي قد انخفضت الى ثلاثـة في المئـة من مجمـوع الاراضي ، غير ان هـذه الثلاث في المئـة في انتاجها الزراعي الاساسي من البطاطا ، قـد قدمت اكثر من خمسين في المئة من انتاج البطاطا في الاتحاد السوفييتي كله !

ـ وكذلك ما جاء في بقية الصحف الاشتراكية ، من أن « الفلاح السوفييتي لم يعد يرضى أن يقلص وضعـه ، وان يرد الى عامل بسيط مأجور ، وان السلطات السوفييتية ردت اليوم الى الفلاح حريته في التخطيط لانتاجه بكـل استقلال ، وقد كان ذلك معتبرا من قبـل « كفرا بالنظـام الماركسي » ، كما فعلت ايضا مع اربعمئة مصنع من جديد، حيث اطلقت حريتهم في التخطيط وفي الانتاج ، واعترفت لهم فيها بحق الحافز الشخصي للربح •

٢٢ ـ هذا وانني حتى الآن لـم اتكلم عـن مآسي « الصراع الطبقي » وفلسفة ماركس فيه •

٢٣ ــ اما مآسيه فيكفينا منها ان يقــودنا « الصراع الطبقي » وفي ظل التداعي اليوم الى التعايش السلمي :

اولا ــ الى الحقد فيما بين المواطنين ، ومن ثــم الى الثورة واراقة دمائهم فيما بينهم ، ان لــم يمنوا بها احيانــا على المالكين المسلوبين .

ثانيا ــ الى تحكيم القلة بالكثرة بأقسى انواع الحكم الفردي التسلطي .

ثالثا ــ الى تجريد المواطن من أي شعور وطني ، عملا بقول ماركس : « ان العامل لا وطن له » .

رابعا ــ واخيرا الى تجريد الانسان من شعوره بالاخاء مع اخيه الانسان ، كما اعلنه ماركس ايضا بكل صراحــة حيث قال : لــم يكن جميع الناس اخــوة في أي مــن الاحوال !!! بل كانوا اعــداء « طبقيين يتصارعــون » ، ولذلك كان شعار ماركس في الميثاق الشيوعي ، « يا عمال العالم اتحدوا »، وتجنب عن قصد ان يقول: « يابني الانسان اتحدوا » ، ليستبيح بذلك وجود جميع من لــم يعدهم من العمال ، مع رفضه بصراحة وتأكيد كل تقريب ما بين مصالح العمال وارباب العمل ، بل ومع رفضه الاعتراف بوجود أية

مصلحة مشتركة فيما بين الفريقين ، وذلك ليحيي بهذه الفلسفة وفي شكل جديد تعاليم اليهودية التلمودية الاساسية، في الحقد على غيرهم من الانسانية، تلك التعاليم التي تعتبر كل من لم يكن من نسل اسرائيل « حيوانا يباح ما له وعرضه ودمه » ، وكذلك اعتبر ماركس كل من لم يكن عاملا عدوا يجب استئصاله .

٢٤ ـ وهكذا فقد استخدم ماركس ارثه الروحى اللا شعوري من اليهودية التلمودية الحاقدة ، وألبسه ثوبا جديدا ، ولكن من دون أي مصلحة للعمال كما رأينا ، ومن دون أي قبول ايضا لفكرة اخاء الانسان مع اخيه الانسان !!

٢٥ ـ وبعد .. فهذا هو « الصراع الطبقي » في حقيقته وفي فلسفته !

ـ وهذا هو هدفه !

ـ وهذا هو مصير الانتاج في الدول الآخذة به !

ـ وهذا هو مصير العامل فيه !

ـ وهذا هو حظ الانسانية منه ! ...

ـ فما هو حكم الاسلام فيه من أجل التطور والبناء ؟

ـ وما هي مصلحتنا في هذا الصراع الداخلي وقد احاط بنا الاعداء ؟

٢٦ ـ ولا اعتقد اننا من اجل الجواب على ذلـك ، وبيان حكم الاسلام فيه ، في حاجة الى الاطالة ، وخاصة بعد أن أخذ اصحاب المعسكرين انفسهم يتهيبون الحروب، وما ستجره على الانسانية من ويلات ، وبعد أن اخـذوا بالتداعي الى مبدأ التعايش السلمي ما بين النظامين ، فـان تعاليم الاسلام في ذلك صريحة واضحة ، ومعلومة من الدين لدى كل مسلم بالضرورة ، وهي على طرفي نقيض مع كـل ما جاء من خصائص الاشتراكية العلمية الثورية في «الحرب الطبقيـة » .

٢٧ ـ فاذا كـان « الصراع الطبقي » ينطلق لـدى « الاشتراكية العلمية الثورية » في التفتيش عن « نقطـة الخلاف » ليزيد في توسيعها ، وليحقن بالحقد اصحابها ، اعدادا لهم للثورة واراقة الدماء ، فان الاسلام ينطلـق في تعاليمه عند الخلاف ما بين الناس على عكس ذلك تمامـا ، وذلك بتفتيشه عن « نقطة الوفاق » ليزيد ايضا في توسيعها، ولكن ليدعو للتقارب فيما بين اصحابها ، حبـا بالسلام ، وحقنا للدماء ، ولذلك امر الله سبحانه وتعالى رسوله فيما يتعلق بخلافه مع اهل الكتاب في العقائد فقال : « قل يـا اهل الكتاب تعالـوا الى كلمة سواء بيننا : أن لا نعبد الا

الله ، ولا نشرك به شيئا » ، وقال ايضا : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي احسن » ، وقال ايضا فيما يتعلق بمعظم انواع الخلاف : « ادفع بالتي هي احسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

٢٨ ـ وكذلك ايضا اذا كان « الصراع الطبقي » ينطلق لدى «الاشتراكية العلمية الثورية» من نقطة « العداء فيما بين الانسان والانسان» ، وانه «لم يكن جميع الناس اخوة في أي من الاحوال » كما زعم ماركس ، فان الاسلام ينطلق في تعاليمه ، عن صلة الانسان بالانسان ، على عكس ذلك تماما ايضا ، وذلك باعلانه وحدة الاصل للجميع ، وانهم مدعوون الى التعارف والتعاون . وهكذا فقد قال الله سبحانه وتعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » وقال رسوله الكريم : « الخلق كلهم عيال الله ، واحبهم اليه انفعهم لعياله » ، وقال الله سبحانه وتعالى ايضا : « انما المؤمنون اخوة » من غير تمييز ما بين عامل وغير عامل ، ولا تمييز ما بين اغنياء الصحابة وفقرائهم ، ما دام الجميع يرعون حق الله فيما بينهم ، وحق الاخاء في صلاتهم ، وحق الكرامة الموحدة في حياتهم .

٢٩ ــ وكــذلك ايضا اذا كان « الصراع الطبقــي » ينطلق لدى «الاشتراكية العلمية الثورية» من نقطة «اعتبار ملكية وسائل الانتاج » الثلاث ، من أرض وعمل ومعمل ونحوه من جميع انواع رأس المال ، « انما هي اغتصاب » يجب نزعها من المالكين لها ، فان الاسلام في تعاليمه عــن الكسب المشروع ، يعتبر ذلك « حقا مشروعا » ، بل شرطا أساسيا لتحميل الانسان المسؤولية المفروضة عليه للعمل في هذه الحياة ، وذلك ليسأل الانسان عن كسبه كيف اكتسبه وكيف انفقه ، وهل ادى فيه حق الله لعباده ؟ عملا بقــوله تعالى : « ليبلوكــم فيما آتاكــم » ، وان صاحب الكسب المشروع بعد ذلك مصون في دمه وماله الى ان يلقى ربــه فيحاسبه عندئذ على ما أخفى من شأنه عن الناس .

٣٠ ــ وهكذا خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، مــذكرا المسلمين باهم احكام دينهــم ، وابتدأ فقال : « ايها الناس ان دماءكــم واموالكــم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد » . ثم تابع خطبته فقال ثانية : « ايها الناس انما المؤمنون اخوة ، ولا يحل لامرىء مال اخيه الا عن طيب نفس منه . ألا هل

بلغت ؟ اللهم اشهد » • ثم تابع قوله عقب ذلك ، وكأنه كان يعني هذا القتال الذي يجري اليوم ، ما بين الاشتراكيين الثوريين وغير الاشتراكيين ، من اجل تجريدهم من اموالهم بغير حق فقال : « فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فاني تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله • ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد • ايها الناس ، ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، وليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى • ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد • قالوا نعم ، فقال الرسول الكريم : فليبلغ الشاهد منكم الغائب » •

٣١ ــ وهنا لا بد لي من كلمة موجزة ، حول فلسفة الدفاع عن ملكية الكسب المشروع في الاسلام ، والتفاوت فيه كظاهرة اجتماعية لا يمكن التخلص منها في الحياة الانسانية الحضارية • فالله سبحانه وتعالى « هو الذي جعلكم خلائف في الارض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ، ( في الرزق لا في الكرامة ) ليبلوكم فيما آتاكم» ، وذلك لان الانسان في الاسلام ، فردا او جماعة ، مسؤول في هذه الحياة عن سلوكه كظاهرة اجتماعية ، وحافز شخصي لا بد منهما للاستمرار في حياة المجتمع •

وقد عاد واعترف بضرورتهما اليوم قادة الاشتراكية السوفييتية ، بعد تجربة دامت نحوا من نصف قرن تقريبا . وان المسؤولية للانسان تستدعي حريته في العمل وفي ملكية الكسب ، ولكن ليكون مسؤولا عن هذه الحرية ، وليكون موجها فيها تحت ضغط المسؤولية ، وضمن حدود المصلحة ، اذ لا مسؤولية من غير حرية ، غير انه لا حرية في الاضرار بالمصالح في الاسلام ، حتى ولو كان الاضرار قاصرا على مصلحة الفرد نفسه ، ولذلك حجر السفيه الذي لا يحسن التصرف لمصلحة نفسه ، فكيف بالذي يسيء لمصلحة غيره .

٣٢ ــ وهكذا فلو جرد الانسان من حريته في الكسب المشروع ، ومن ملكيته له ، لوجب تجريده من المسؤولية ايضا ، فيغدو الانسان عندئذ كالحيوان ، الذي نضعه في الحقل للعمل على مسؤولية صاحبه ، ودون أية مسؤولية تقع على الحيوان ، وينحط حينئذ وجود الانسان عن مرتبته الانسانية في الوجود الى نفس مرتبة الحيوان ، وهذا ما نستبعد من القول به كل عاقل .

٣٣ ــ واذا ما عدنا بعد ذلك للتساؤل عن مكان مصلحتنا في تبني « الصراع الطبقي الداخلي » وخاصة في البلاد التي لها اعداء على حدودها ، فلن نعتقد ان هناك عاقلا واحدا ينصحنا عندئذ بتبني « الصراع الطبقي »

كأساس من اجل التطور والبناء ، اذ أننا مأمورون في مثل هذا المقام خاصة ، وعلى طريقة الفرض واللزوم : بالاعتصام بحبل الله جميعا ، فقد قال الله سبحانه وتعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم ، فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

٣٤ ــ وبذلك نثبت مرة اخرى أن « الاسلام » و « الصراع الطبقي » هما على طرفي نقيض :

ــ لان « الاسلام » يدعو في سيره دوما الى الحب والى الآخاء .

ــ في حين ان « الصراع الطبقي » يدعو دوما الى الحقد والى الصراع .

ولا يجوز للمسلمين في حال من الاحوال ، ان يتبعوا السبل التي تفرق فيما بينهم ، وتزرع الحقد في انفسهم ، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم » ، كما قال ايضا : « لا خير في كثير من نجواهم ، الا من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس » .

٣٥ ــ ولا نعتقد بعد ذلك الايضاح ، ان مسلما

واحـــدا يجيز لنفسه أن يأخذ من اجــل التطور والبنـــاء بمذهب القائلين « بالصراع الطبقي » كبديل عن « الاصلاح بين الناس » الذي فرضه علينا الاسلام ، في ظل السلام ، ودعا اليه فقال : « والله يدعو الى دار السلام ، ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » ، ونـــدد بكل داع الى النار ، وخاصة الفراعنة ، فقال فيهم : « وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ، ويوم القيامة لا ينصرون » ، كما قال ايضا « اولئك يدعون الى النار ، والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنــه ، ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون » .

والسلام عليكم ورحمة الله .

# الإسلام والسلام

# في معالجة مشكلات الحياة

محاضرة ألقيت في نادي المؤتمر الاسلامي في القاهرة في ٢٧ رمضان سنة ١٣٨١ الموافق ١٥/٣/١٩٦١ ، ثم على مدرج جامعة دمشق في الشهر الذي يليه تحت اسم مبادىء الاسلام الدستورية في نواحي الحياة ·

بسم اللـه الرحمن الرحيم

## ظهور الاسلام وانتشاره السريع

ظهر الاسلام منذ أربعة عشر قرنا وفي أعالي القرون الوسطى ، في جزيرة العرب الوثنية المترامية الابعاد ، وعلى أطراف دولتي العالم حينذاك : فارس والرومان ، وقد استقر لهاتين الدولتين السلطان والسيادة من غير منازع لهما من غيرهما .

واذا بالاسلام ينشر بعد مرحلة تأسيس دامت عشر سنوات في جميع ملايين جزيرة العرب على سعة أطرافها ، وتباين نزعاتها ، وقوة شكيمة أصحابها ، رغم رسوخ الوثنية فيهم ، ودفاعهم عنها بكل ما عز لديهم .

واذا بالاسلام يوحد لاول مرة بين هذه القبائل الصلبة العود ، ويجمع شملهم ، ويلم شعثهم ، ويجعل منهم أمة عربية واحدة ، صارخا فيهم : «ان هذه أمتكم أمة واحدة»، بعد أن كانوا قبائل أشتاتا .

واذا بالاسلام ينفخ فيهم روحا من روح الله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله » ، ويجعل خيرهم وفضلهم على الناس فيما حملوا من خير للناس لا في عنصرية تضع ثقلهم فوق رقاب النـاس .

ثم لم يخرج الاسلام من جزيرة العرب حتى قـوض دولتي العالم الفارسية والرومانية في فارس ومصر وبـلاد الشام ، وأصبح على أبواب الهند والصين في مدة لم تتجاوز عشر سنوات ، ومن ثم فتحت لـه الابواب ليغزو بعقائـده العالم في كل مكان من أقصى الشرق الى أقصى الغرب .

وهكذا انتشر الاسلام بسرعـة لم يعهد التاريخ لهـا مثيلا في تاريخ الاديـان ، وتحير العلماء والمؤرخـون في في تفسير أسباب هذه السرعة التي لم يعرفوا لها نظيرا .

**ما هو السر في سرعة انتشاره ؟**

فهل من أسباب هذه السرعة في انتشار الاسلام سلطان عروبة صاحب هذا الدين ؟ .. كلا فان العرب حين ظهـور الاسلام لـم يكونوا الا قبائل أشتاتا ، ولم يكونوا بالنسبة الى دولتي العالم حينذاك فارس والرومان شيئا مذكورا .

وهل من أسباب هـذه السرعـة في انتشار الاسلام معجزاته الخارقة ، ومعجزات اصحابه الحاسمة ؟ .. كـلا ، فقد ألقي ابراهيم في النار ، وانقلبت النار عليه بردا وسلاما فلم يؤمنوا به ! وقد ألقى موسى بعصاه أمـام السحرة في مصر فاذا هي تلقف ما يأفكون ، وضرب بها البحر فانفلق ، فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأنجى الله موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرق الآخرين ، واذا ببني اسرائيل أنفسهم لم يلبثوا أن عبدوا في غيابه العجـل وهم ظالمون ! وكذلـك جاء عيسى فخلق من الطين كهيئة الطير ، ونفخ فيه فكـان طيرا باذن اللـه ، وأبرأ الأكمه والابرص ، وأحيـا الموتى باذن الله ، فلم يزد خراف بني اسرائيل الضالة كما سماهم السيد المسيح الا ضلالا ، فحكموا عليه بالصلب ، وسلموه لحاكم القدس الروماني لينفذ الحكم ، متهمين السيد المسيح بأنه جاء يثير بني اسرائيل على الرومان ، ويدعوهم للخروج عليهم !!

أما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يـأت بشيء من هذه المعجزات بالذات ، بل لم يكن هـذا النوع من المعجزات المغلقة على العقل أبواب تفكيره هو الاساس في دعوته ، ومع ذلك لم يلبث عرب الجزيرة أن اجتمعـوا عليه في حياته ، ثم لم يلبث العالم من حـولهم أن اجتمعوا

على أصحابه من بعد وفاته !!

فما هو السر في ذلك الذي حير الالباب ؟

وما هو ذلك العجب العجاب ؟

**السر في ذلك انه دعوة الى الحياة على أسس جديدة تكفل الحياة في أمن وسلام بعد أن تعب المفكرون في البحث عن هذه الاسس**

والجواب على ذلك : لا سر يحير الالباب ، ولا عجب فيه ولا عجاب ، فلندع الاشياء بأسمائها صريحة ، ولنسمها كما سماها القرآن الكريم بوضوح ، فقد قال الله سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » ، لقد كان الاسلام دعوة عامة الى الحياة على أسس جديدة تكفل هذه الحياة في أمن وسلام، بعد أن تعب العالم فيها في ظل الحضارات القديمة ، كما تعب فيها اليوم أيضا في ظل الحضارات الجديدة ، فطغى القوي على الضعيف ، وتنكر الانسان لاخيه الانسان ، وأصبحت حياة كل من الافراد والجماعات عرضة في كل يوم الى طغيان أحدهما على الآخر ، والى هزات : تارة كانت تقضي على حياة الفرد ، وتارة كانت تقضي على نظام الجماعة ، وأصبحت حياة الفرد بصورة خاصة عرضة : تارة الى طغيان القيادة الفردية واستغلالها ، وتارة الى

فوضى الجماعة في نظامها ، وفي كلا الحالين أصبحت حياة الفرد والمجتمع في جحيم مقيم !

ولذلك أخذت العقول المفكرة منذ القديم قبل الاسلام تتسابق في البحث في كل أمة وفي كل زمان ـ عن المبادىء التي يجب أن تسود ، وعن الانظمة التي يجب أن تبتكر لاقامة حياة سعيدة وأمينة ، وبعيدة كل البعد عن جحيم الطغيان ، وفوضى النظام ، وغير مفرقة في الحق في الحياة بين انسان وانسان •

وقد اتبع المفكرون سبلا مختلفة للوصول الى سعادة الانسان ، فتفرقت بهم السبل ، ولم يهتدوا الى سبيل سوية جامعة ، بل عالجوا على الدوام ناحية فقط من نواحي الحياة من غير شمول لسائر النواحي ، وكثيرا ما ضل الباحثون عن الطريق حتى في تلك الناحية غير الشاملة ، فلم تشف المعالجة ما في المجتمع من أسقام ، الى ان صاح فيهم الاسلام : « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » •

فما هي تلك السبل التي ضلت فيها الانسانية ففرقت بين أبنائها ؟

وما هو ذلك الصراط المستقيم الذي دعا اليه الاسلام ليجمع شمـــل الجميع ؟؟

هذا هو ما نريد أن نتناوله الان بالبحث، سائلين الله، العون والسداد .

### مجمل المبادىء القديمة والحديثة لمعالجة مساوىء الحياة

منذ القديم ظهرت فكرة العودة الى مبادىء الطبيعـــة والحياة الطبيعية لدى الصين واليونان والرومان لمعالجـــة مساوىء الحضارة حينذاك ، وما قد انبعث عنها من طغيان القادة أحيانا ، أو فوضى الجماعة في الحياة أحيانا اخرى، وكانت الدعوة الى العودة لمبادىء الطبيعة والحياة الطبيعية انما هي لصيانة حياة الفرد والجماعة في آن واحد .

ومنـــذ القـــديم بشر الفلاسفـــة والمفكرون بفكـــرة الديموقراطية والدعوة اليها في كل من اليونان والرومـــان لمعالجة طغيان الطبقات أو طغيان الحاكمين .

وفي عصورنا الحديثة ظهرت أيضا مبـــادىء وأنظمة جديدة ، وكلها ردة على وضع سيء ، وقد حاول أصحاب كل مبدأ ونظام أن يعالجـــوا ، بما ابتكروه من مبـــادىء

وبما دعوا اليه من نظام ، ما هم فيه من وضع غير انساني ، طلبا لوضع سليم مثالي •

وهكذا طغت مبادىء الحرية والعدالة والمساواة منذ الثورة الفرنسية الكبرى في أواخر القرن الثامن عشر ، وكان من آثارها أن قضت نهائيا على نظام الاقطاع في اوروبة ، وأخذت الانظمة الجديدة تتكون حول تلك المبادىء تحت شعارات مختلفة كان أبرزها الديموقراطية والاشتراكية •

وتنوعت ما بين هذه المبادىء معاني الاشتراكية خاصة ، حتى أصبح لدينا معان في الاشتراكية بقدر ما هناك من طلاب للاشتراكية :

ـ فهناك الاشتراكية الشيوعية السوفييتية ،

ـ وهناك الاشتراكية الالمانية الوطنية في ظل النازية، وكانت كما تعلمون حربا مسعورة على الاشتراكية الشيوعية ،

ـ وهناك الاشتراكية الديموقراطية لدى حزب العمال في انكلترا ،

ـ وهناك الاشتراكية التيتوية ،

ـ وهناك اخيرا الاشتراكية الصينية ،

ولا ندري ماذا يجد ويحدث في الغد .

وكل ذلك في سبيل معالجة طغيان سلطان الفرد على حياة الجماعة ، أو في سبيل معالجة طغيان الجماعات على حيا ةالافراد ، وفي سبيل اقامة حياة أفضل ، وجيل أسعد، وكل حزب بما لديهم فرحـون ، وفي حرب مع الاخرين لا سالمون ولا يهادنـون .

### ظهر الاسلام وحيـاة الفرد العالمية في اشد المعـارك اصطراعـا بين المبادىء

وحينما ظهر الاسلام منذ أربعة عشر قرنا في مطـالع القرون الوسطى كانت حياة الفرد في أشد المعارك اصطراعا ما بين القـديم والجديد من المبـ ء ، وما بين القـديم والحديث من النظم ، في سبيل الوصول الى حياة أفضل وأهنأ وأهدأ .

فماذا كان موقف الاسلام من هذه المبادىء والنظـم المتصارعة في سبيل الحياة ؟

وما هو موقف الاسلام من هـذه المبادىء والنظم الجديدة اليوم ؟

بل ربما كان الاصح أن تتساءل : ما هو موقف الاسلام من الحياة نفسها ؟ وكيف عمل على صيانتها ؟ وكيف حل مشكلاتها التي أشرنا اليها ؟ وما هي قواعده الاساسية الدستورية في نواحي الحياة كلها ؟ فان الاجابة على ذلك هي التي تفضح السر ، وتزيل الغموض .

## ضرورة استعراض هذه المبادىء المتصارعة

ولا بد لنا قبل ذلك من أن نستعرض بسرعة تلك المبادىء المتصارعة لنعرف مكانها من حاجات الحياة كلها . ولنعرف الصفة البارزة فيها لمعالجة مساوىء النظام السائد، ولنعرف فيما اذا كان كل من هذه المبادىء على انفراد قد استجاب الى جميع حاجات الحياة وندائها ، أم أنه تغلب عليه الاهتمام بحاجة واحدة منها دون الاكتراث بغيرها ، ثم ماذا كان موقف الاسلام منها جميعا ؟

ولعل العقائـد الدوية في الصين حـول الرجوع الى الطبيعة والاحتكام اليها كانت أول من أراد أن يعالج مساوي الحياة عن طريقة الطبيعة .

والدوية نسبة الى لفظة «الدّوْ» ، ومعناها «الطريقة»، ويراد منها «طريقة الطبيعـة» أو «الطريقة الدوية للحيـاة الحكيمة » .

وترجع هذه الطريقة الى كتاب «الدو ــ ده ــ جنج»، أي «كتاب الطريقة والفضيلة» لواضعه فيما يقال الفيلسوف « لَوْ ــ دَزَه » ( ٦٠٤ ــ ٥١٧ ق.م ) .

ويقول « لو ــ دزه » مؤسس مذهب الدوية ، بـل اله الدويين الذين عبدوه فيما بعد :

ــ « ان الطبيعة قـد جعلت حياة الناس في الايـام الخالية بسيطة آمنة ، فكان العالم كله هنيئا سعيدا .

ــ « ثم حصل الناس المعرفة فعقدوا الحياة بالمخترعات، وخسروا كل طهارتهـم الذهنية والخلقية ، وانتقلوا مـن

الحقول الى المدن ، وشرعوا يؤلفون الكتب ، فنشأ من ذلك كل ما أصاب الناس من شقاء ، وجرت من أجل ذلك دموع الفلاسفة •

ـ « فالعاقل اذن من يبتعد عن هذا التعقيد الحضري، وهذا التيه المفسد : تيه القوانين والحضارة ، ويختفي بين أحضان الطبيعة •

ـ « وسر الحكمة كلها هو الطاعة العمياء لقوانين الطبيعة ، ونبذ جميع أساليب الخداع وأفانين العقل ، وقبول أوامر الطبيعة الصادرة من الغرائز ، والجري على سنن الطبيعة الصامتة وتقليدها في تواضع » •

ويرى الدويون :

ـ ان التفكير امر عارض سطحي لا خير فيه الا للجدل والمحاجة ، يضر الحياة أكثر مما ينفعها ،

ـ وان العلم ليس فضيلة ، بل ان السفلة قد زاد عددهم من يوم أن انتشر العلم !

ـ وأن شر أنواع الحكومات التي يمكن تصورها هي حكومة الفلاسفة ،

ـ وان صاحب الفكر خطر على الدولة ، لانه لا يفكر الا في الانظمة والقوانين ٠

ـ وان كثرة النواهي والمحرمات في المملكة تزيد من فقر الاهلـين ٠

ـ وأنه كلما كثرت الشرائع والقوانـين كثر عـدد اللصوص وقطاع الطرق !!

ولا نرى في هذه العقائد الدوية المنادية بالعودة الـى الطبيعة وحياتها ، والمنفرة من القوانين وأحكامها ، الا ردة على ظلم القوانين التي كان يصدرها الطغاة النافذون ، وكان من جملتها مـا أصدرته ولايتـا « جنج » و « تشين » في عامي ٥٣٥ ، ٥١٢ قبل الميلاد من قوانين ملأت قلوب الفلاحين رعبا ، بما تميزت به من اقرار نظام الطبقات كما كان الامر في شريعة مانو الهنديـة ، وبمحاباة الطبقات العليا ، فقـد أعفتها من كثير من الواجبـات المفروضة على غيرها مـن الطبقات العامة الاخرى ٠

ولقد احتج عامة الشعب على هذه التفرقة ، وتمنوا أن يقوم بينهم وطني مخلص يحررهم من ظلم القوانين ٠

وهكذا عمدت العقائد الدوية في الصين الى الدعـوة

للعمل بأحكام الطبيعة ، وذلك لتعالج بها مساوىء النظـام السائد ، والمحاباة بين الطبقات ، وطغيان الحاكمين، وتحرير العامة من ظلم القوانين .

وأقامت من عقائدها حول مفاهيم الطبيعة والاحتكام اليها حربا في آن واحـد على العقل وعلى العلـم ، حتى اصطبغت حكمتها بصبغة جامدة متزمتة ، ووقفت في طريق الدوافع الطبيعية نفسها ، تـلك الدوافع الطبيعية القويـة المحركة للجنس البشري .

وأعان ما في حكمتها من كمال بارد على تجميد الامـة الصينية ، وجعلها أمة محافظة لا يضارع عداؤها للرقي الا حبها للسلام ، مثلها في ذلـك مثل الفلسفة الكونفـوشية الصينية التي أقامت حربا أيضا على القوانين لما كان فيهـا من ظلم ، ودعت الى مقاومتها ، ولكن تحت ستار الدعـوة الى القانون الاخلاقي عوضا عن دعوة الدويين الى احكـام القانـون الطبيعي .

ويقول بعض حكماء الدويين في التعبير عن حكمتهم التي اصطبغت بتلك الصبغة الجامدة المتزمتة : لن أفعـل شيئا فيتبدل الناس من تلقاء أنفسهم ، وسأولع بـأن أبقى

ساكنا فينصلح الناس من تلقاء أنفسهم ... ، وسيرون أن طعامهم الخشن وملابسهم البسيطة جميلة ، ومساكنهم الحقيرة أمكنة للراحة ، وأساليبهم المألوفة مصادر للذة والمتعة .

### نظام الطبقات لدى الهنود في ظل شريعة مانو

ولم يكن النظام السائد في الهند الى جانب الصين بأحسن حالا تحت ظل شريعة « مانو » التي كانت متحكمة في الهند في نفس الوقت .

و « مانو » هذا يطلق عند الهنود على كل من الملوك المؤلهين السبعة الذين حكموا العالم ، كما كان يطلق « فرعون » عند المصريين على ملوك مصر القدماء ، والى أول هؤلاء الملوك المؤلهين أوحيت شريعة « مانو » من لدن الاله « براهما » نفسه .

ولقد أشادت هذه الشريعة مرة بعد أخرى بنظام الطبقات ، وأشادت بطبقة البراهمة في فضائلها وحقوقها ونفوذها ، وما نزال نرى وثائق منذ القرن الثاني بعد الميلاد بمنح عظيمة ـ خصوصا اقطاعيات الارض ـ توهب لطبقة البراهمة ، وكان شأنها شأن أملاك البراهمة : كلها «معفاة» من الضرائب ، لان تشريع « مانو » يحذر الملك من فرض

**ضريبة على برهمي ، ولو نضبت كل موارد المال الاخرى !** وينص تشريع مانو على ان يكون من حق البرهمي سيادته على سائر الكائنات ، بل يذهب مانو في ذلك ويقرر أن «كل ما هو كائن في الوجود ملك للبراهمة » .

وكلمة أخيرة عن شريعة مانـو : أنها أبرزت نظـام الطبقات والتمايز فيها بالحقوق ، ولدنزال نلمس أثرها حتى اليوم في القسوة على المنبوذين وهي من الطبقـة الدنيا ، ولقد حاول الزعيم غاندي في عصرنا انقاذ هذه الطبقة ممـا وضعت فيه ، فكانت محاولته هذه من جملة العوامل التي أدت الى اغتياله من قبل بعض الفرق الهنديـة المتشددة في في عقائدهـا .

### حياة الفرد لدى اليونان والرومان في صراع مع طغيان الفرد أو طغيان الجماعات

واذا انتقلنا من الشرق الى الغرب لنستعرض أوضاع الحياة لدى اليونان والرومان في القرون الاولى، لرأينا حياة الفرد في المجتمع كانت كما هي في الشرق في صراع دائم أيضا مـا بين طغيان سلطان الفرد على حياة الجماعـة ، أو طغيان الجماعات على حياة الافراد ، وكما هو الشأن في كل منطقة من العالم حتى اليوم ، الا من رحم ربك ، وفي نطاق

محدود ، لا في نطاق الانسانية جمعاء .

أما في اليونان فقد كان النزاع قد بلغ أشده فيما بين الاتجاهات المختلفة في أثينة في العصر الخامس قبل الميلاد، كما هو الشأن في جميع الدويلات اليونانية الاخرى :

ـ فجماعة كانت تريد حكما ارستقراطيا ينحصر في يد أقلية ، ويكون لها جميع الامتيازات .

ـ وجماعة اخرى كانت تهدف الى حكم ديمقراطي ، أي حكم الشعب .

ويحدثنا أرسطاطاليس عما قد كانت عليه الحال حينذاك فيقول : « وأصبحت كل الاراضي ملكا لعدد قليل من الناس ، وتعرض الزراع هم وزوجاتهم وأبناؤهم لان يباعوا بيع الرقيق ، لا في داخل البلاد فحسب ، بل خارجها أيضا اذا عجزوا عن أداء أجرة الارض أو الوفاء بما عليهم من ديون » .

**ظهور مباديء الحق الطبيعي والديموقراطية لدى اليونان مقاومة لنظام اسبارطة الارستقراطي**

ولقد عمل المصلحون جهدهم لاصلاح الحال ، وابتكروا ما شاؤوا من مبادىء وأقاموا عليها ثورات قضت

على عهود وأنظمة ، وفي مقدمــة تلك المبادىء التي أشادوا بها هي مبدأ الديموقراطية ومبدأ الحق الطبيعي .

ولكن الديموقراطية في أثينة لم تلبث ان أحدثت حرية الافراد في ظلالهــا كثيرا مــن المساوىء ، وهذا مــا دعا الكثيرين من المفكرين اليونــان وفي مقدمتهم أفلاطــون وبلوتارخ لان يعمدوا الى تمجيد نظام سبارطة الارستقراطي بعد أن ملوا ما في ديموقراطية أثينة من انحطاط وفوضى ، وأوجسوا في أنفسهم خيفة منها ، رغم ان قوانين سبارطة قد أجمع العلماء والمؤرخون اليوم على أنها : أعجب وأبغض طائفــة من الشرائع في التاريخ كله ، وأنها من القواعــد المخالفــة للطبيعة .

وهكــذا طلع علينا أفلاطــون في جمهوريته بحــل لمشكلات الحياة في أثينة على ان يقسم المجتمع في أثينــة الى طبقة حاكمة من الصفوة : هم الفلاسفة والجيش ، والى طبقة من العامة هم من بقي من الناس ! وصرح بأن اسباب الخلاف مــا بين الناس انما هي المرأة والمال ، فعلى الطبقة الاولى أن تعيش في اشتراكية وشيوعية كاملة فيهما فــلا يختص رجل بامرأة ، ولا يملك أحدهم مالا ، وبذلك تزول أسباب الخلاف فيما بين الطبقة العليا الحاكمة ، وأما الطبقة

العامة فتملك وتتزوج وتقدم مالديها لخدمة الطبقة الاولى!

ورأى افلاطون في ذلك النظام نظاما يتفق مع طبيعة المدينة الفاضلة التي تصورها ، ولم يصنع بما فكر الا أن قذف المجتمع الفكري من جديد في مشكلات وعقد جديدة تثبت نظام الطبقات والتمايز بين الافراد ، ذلك النظام الذي كان ولا يزال من أعظم اسباب النزاع في الحياة الانسانية حتى اليوم •

## نظام الطبقات لدى الرومان وبقاؤه في أوروبة حتى عهد الثورة الفرنسية

وكذلك كان الامر لدى الرومان ، فقد ساد لديهم نظام الطبقات ، وتمتع فيهم الاشراف بكل الحقوق والامتيازات دون طبقة العوام ، التي لم تجد لها بدا من انتهاز الفرص للثورات ، فحطمت ما استطاعت من حواجز •

ولكن نظام الطبقات الاجتماعية لم يلبث أن ظهر في نظام طبقات اقتصادية متفاوتة في القدرة والسلطان حتى استقر فيها النظام الاقطاعي من جديد ، ذلك النظام الذي ورثته اوروبة الحديثة عنها ، وظل قائما فيها الى عهد الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر حيث قضت عليه الثورة قضاء نهائيا •

وهكذا استمر العالم في نزاع ما بين هذه المبادىء ، وليس في عالمنا الحديث من جديد حول الحلول الشاملة . وقد استقطبت هذه المبادىء اليوم في مبدأين أساسيين هما :

ـ الديموقراطية .

ـ والاشتراكية .

أما الديموقراطية فتهـدف في الاصل مـن نظامهـا السياسي والاقتصادي الى حرية الفرد ، وذلك معالجة لمـا لقي الفرد من امتهان وطغيان في ظل النظام الارستقراطى ، وحكم الاقلية المتسلطة المستغلة ؛ وتمشي الى هدفها باعطاء أكثر مـا يمكن من حريـة لنشاط الفرد ، حفظـا لكرامته كانسان .

واما الاشتراكية فتهدف ايضا في الاصل الى تحطيم هذا الاستغلال من قبل أقلية متسلطة ، وذلك معالجة لنفس الداء ؛ ولكنها تمشي الى الى هدفها بتقطيب السلطـة في الحكم ، وتجريد الانسان من كل حق في حرية نشاطـه ، الا ضمن الحـدود المرسومة لـه ، كي تصل الى المساواة والعدالة ما بين الجميع في حظوظهم في الحياة ، وتكافؤهم في الفرص .

## كل من الديموقراطية والاشتراكية تلبية لحاجة ضرورية دون معالجة ما ينتج عنهما من ردة في الاصل

وكل من أصل الديموقراطيـــة والاشتراكية كما نرى ما هو في الحقيقة الا تلبية لحاجة واحدة من حاجات الانسان الضرورية ، مـــن دون اكتراث بما نشأ عـــن الديموقراطيـــة وحدها او الاشتراكية وحدها من ردة على أصل المبدأ .

وهكذا فان الديموقراطية وحدها ، وما أعطته للفرد من حرية ، لم تستطع أن تضمن المساواة في الحظوظ لكل فرد من أفراد المجتمع ، لان الفرد القـــوي يتمتع بحريتـــه ويستفيد منها أكثر من الفرد الضعيف ، فنحن ان كنا أنقذناه من حكم الارستقراطية والاقـــلية المستغلة باقامـــة الحكم الديموقراطي فقد اعدناه من جـــديد ليكون تحت نفـــوذ وسلطان الاقوياء من رجال الحظوظ ، وبذلك يعود الفرد من جديد الى فقدان ما أعطيناه من حرية في سبيل كرامته.

وكذلك الاشتراكية وحدها ، وما ضمنته للفرد مـــن مساواة في حظوظ الحياة وتكافؤ الفرص ، لم تستطع أن تضمن للفرد حقه الطبيعي في الحرية والكرامة ، فنحن ان كنا أنقذناه من حكم الارستقراطية والاقلية المستغلة باقامة الحكم الاشتراكي ، فقد أعدناه مـــن جديد ليكون تحت

سلطة أقلية ايضا من رجال الحكم ، وليغدو تحت تصرفها كآلة متحركة لا تتحرك الا بارادة الحاكمين ، وبذلك يفقد الفرد من جديد ما كان يسعى اليه من حق في الحرية والكرامة في سبيل لقمته •

ولذلك وجدنا في بعض الدول من اضطر الى الجمع مابين المبدأين كحزب العمال الانكليزي ليخفف من مساوىء كل مبدأ على انفراده ، وكان شعاره هو « الاشتراكية الديموقراطية » رغم ما يبدو من تنافر بين المبدأين •

**عالمنا اليوم على عتبة روح جديدة لدى اقطاب النزاع : هي روح التعايش السلمي من غير صوغها في مبدا حيوي ايجابي**

ولكننا اليوم على عتبة أبواب روح جديدة يندفع العالم نحوها اندفاعا :

ـ بعد أن تعب العالم من النزاع المتواصل بين المبادىء والنظم •

ـ وبعد أن أنهكتهم الحروب العالمية المتتالية •

ـ وبعد أن أصبحت الانسانية كلها في خطر من جراء ذلك النزاع وهاتيك الحروب •

واصبح ذكر هذه الروح الجديدة على لسان كل من

أقطاب أصحاب المبادىء المتناحرة • وتلك الروح الجديدة هي روح الرغبة في السلام ما بين أبناء الانسان في كل مكان ، وبين جميع الاقوام ، ومختلف العقائد والنظم والاديان •

غير أن هذه الروح لم تتبلور بعد ، ولم يشعر بجديتها أحد حتى الان، ولم يتمكن أحد من صوغها في مبدأ حيوي ايجابي ، الا ما يجيء من وقت لآخر في شكل مبادىء سلبية :

ـ مثل عدم الاعتداء ، وهو مبدأ سلبي ظاهر •

ـ ومثل تجنب التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى ، وهو ايضا مبدأ سلبي •

ـ ومثل الاحترام المتبادل للسيادة والاستقلال، وهذا ايضا سلبي لانه يقوم على عدم الاعتداء ، وعلى تجنب التدخل في شؤون الآخرين •

ـ ومثل مبدأ المساواة والنفع المتبادل ، وهو ايضا تقريبا مبدأ سلبي ، لانه يقوم على عدم الخروج على مبدأ المساواة والنفع المتبادل •

ـ ومثل مبدأ التعايش السلمي ، وهو كذلك مبدأ

سلبي لانه انما يقوم على عدم العدوان فيما بين المتعاقدين.

وهذه المبادىء هي التي عرفت بالمبادىء الخمسة للتعايش السلمي فيما بين الهند والصين الشعبية ، وقد كثر الاعتراض عليها لسلبيتها في الجملة ، ولغموض فكرتها وخاصة في التعايش السلمي الذي « لا يزال بحاجة الى تجديد وبيان » كما جاء في خطاب رئيس وفد تايلاند في مؤتمر باندونغ .

وزيادة على ذلك فان مبدأ التعايش السلمي اذا ما قصر في تطبيقه على المتعاقدين الاقوياء يوشك أن يصبح تآمرا سلميا على غيرهم من الضعفاء لا تعايشا سلميا ، لانه لم يصرخ بعد أحد صرخة جدية عملية ولو في صورة سلبية في سبيل تعايش الانسان مع أخيه الانسان في كل مكان ، ناهيك عن الدعوة الايجابية لخير الناس اجمعين .

**فكرة التعايش السلمي في الاسلام فكرة ايجابية واضحة**

اما الاسلام فقد نادى بهذا المبدأ منذ اربعة عشر قرنا دون أن يطوقه بحدود فيما بين الاقوياء ، ودون أن يقصره على فريق من الشعوب ، او على فريق من أهل الاديان ، ولم يتركه فكرة سلبية غامضة ، بل وضع معالمه ، وأظهر خصائصه ، وتناول فيه جميع نواحي حياة الانسان: منفردا

ومجتمعا ، وما اسم الاسلام الا كلمة مشتقة من مادة السلم والسلام ، ولذلك اتخذ الاسلام « السلام » تحية وشعارا، وعزز ذلك الشعار فقال في قرآنه الكريم : « ولا تقولـوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا » .

**لقد تجلى في الاسلام معالجة ما كانت تئن منه الانسانية في أعالي القرون الوسطى وهي مشكلة اليوم من غير جديد**

ويسرنا في هذا الحديث ونحن نريد الكلام فيه عن « الاسلام والسلام في حل مشكلات الحياة » ، أو بعبارة أخرى عن «مبادىء الاسلام الدستورية في نواحي الحياة». أن نعلن أن الاسلام قد تجلى فيه معالجة ما كانت الانسانية تئن منه في أعالي القرون الوسطى حين فاجأها وهي في حروب دائمة دامية متواصلة . وقد طغى فيها القوي على الضعيف ، وتنكر الانسان لأخيه الانسان ، واتخذ بعضهم أنفسهم أربابا من دون الله على الآخرين ، ونزلوا بغيرهم الى الطبقة الدنيا . وجردوهم من حق الحياة والوجود ، حتى أصبح فيها حياة كل من الافراد والمجتمع في جحيم مقيم .

وهذه هي مشكلة الانسانية اليوم من غير جديد :

بعد أن خرجت شعوب العالم منذ أواخر القرون الاولى ومطالع القرون الوسطى عن عزلتها ، واحتكت ببعضها ، وأورث ذلك الاحتكاك أحقادا وحروبا .

وان هذا الاحتكاك مع تقدم الحضارات اليوم لايزداد الا اشتدادا واحتداما ، على نسبة ما تزداد الشعوب من بعضها اتصالا ، وذلك بفضل تقدم المدنية وتشابك المصالح، تلك المصالح التي جعلت من أبناء الانسانية في كل مكان من هذه الارض أبناء أسرة واحدة ، والاجدر بأبناء الأسرة الواحدة التواصل والتراحم ، لا التنازع والتخاصم، وهذا ما نادى به الاسلام منذ أربعة عشر قرنا بين العرب أولا ، ثم بين العرب والامم أجمعين ثانيا ، فقال : « انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ، فجاء نداؤه تلبية لحاجة الناس أجمعين ، وبلسما لجراح البائسين ، وهذا هو ما جعل الناس من العرب أولا يدخلون في دين الله أفواجا ، وهذا هو السر الذي جعل الاسلام بعد ذلك ينتشر بسرعة لا عهد للانسانية بها حين خرج من جزيرة العرب ، حتى قوض عروش الاكاسرة ، ودك قواعد القياصرة في أقل من عشر سنوات .

ويخطىء الذين يفهمون الاسلام فقط ضمن حدود الدين الذي عرفه العلماء في الغرب فقالوا في أحسن تعاريفه كما نصت عليه دائرة المعارف الدينية لديهم ، وهو ما جاء في التعريف الذي وضعه كوبليت دالفييلا Goblet d'Alviella حيث قال : « ان الدين هو الطريقة التي يحقق بها الانسان صلاته مع قوى الغيب العلوية » .

كما يخطىء الذين يفهمون الاسلام في حدود تعريف آخر للدين عند علماء الغرب أيضا ، وفي الدرجة الثانية من أصل مئة تعريف كما وضعه جايمس دارمستيتر James Darmesteter حيث قال : « ان الدين هو ما يشتمل على كل معلوم وكل سلطة لا تتفق والعلم » .

فقد تجاوز الدين في مفهوم الاسلام والقرآن تلك الحدود من « صلات الانسان مع قوى الغيب العلوية » الى حدود أخرى أعطاها نفس الاهتمام ، ألا وهي « صلات الانسان مع الانسان » .

وفوق ذلك فقد حمل المخاطبين على الاحتكام في كل تلك الصلات الى العلم والعقل ، وصارح قرآنه بأنه انما يخاطب الذين يعلمون والذين يعقلون ، فقال : « نفصل

الآيات لقوم يعلمون » وقال أيضا : « كذلك يفصل الآيات لقوم يعقلون » ، وهكذا أهمل في خطابه الذين لا يعلمون والذين لا يعقلون ، ووصف دعوته هذه بأنها دعوة الى الحياة فقال : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » وهو أول نداء في هذا المعنى في لغة الاديان .

### اقامة الاسلام دعوته على مبدا السلم والسلام ومنه اشتق اسم الاسلام

وأقام هذه الدعوة على مبدأ واحد هو مبدأ السلم والسلام ، ومنه اشتق اسم الاسلام ، وقال « ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا » وقال : « يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة . ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » ، بل اتخذ شعاره في التحية على الدوام كلمة « السلام » ، كما أختتم صلواته الدينية حين ينتهي منها ليعود الى ممارسة شؤون الحياة بان كلف المسلم بأن يلتفت يمينا ويقول : « السلام عليكم » ، ثم يلتفت يسارا ويقول ايضا «السلام عليكم» . فما أعظمه من شعار تنتهي به صلاة المسلم ، ويعود به الانسان ليمارس من جديد شؤون الحياة، ناشرا حوله السلام عن اليمين والشمال !

ولعل الاسلام ايضا هو وحده الذي سمى الله بعد

الكلمة الجامعة لجميع معاني التقديس باسم « السلام » عوضا عن « اله الحرب » ، فقال : هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام » •

بل قد وصفت الليلة الذي نزل فيها دستور الاسلام وقرآنه في ليلة القدر بأنها ليلة سلام فقال سبحانه وتعالى : « انا أنزلناه في ليلة القدر ، وما أدرك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها ، باذن ربهم من كل أمر ، سلام هي حتى مطلع الفجر » •

وبعد ، فان الاسلام بدعوته الناس أجمعين الى «الحياة» على أساس « مبدأ السلام » لم يترك هذا المبدأ مبدأ روحيا غامضا لا حدود له ولا بيان ، بل أقام جميع نواحي الحياة الانسانية ، وصلاتها مع الله والانسان على قواعد صريحة بينة تقود متبعها من غير شك الى السلام ، وتجنبه مواقع الخصام ، كما تجنبه مواقع الاستسلام والامتهان ، عملا بقول القرآن الكريم : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » •

**هذه الروح الجديدة اعدت العرب لحمل رسالة انسانية خالدة**

وبذلك تم للعرب بهذا الروح الاسلامي : اولا ــ اعداد أنفسهم لحمل الرسالة وأداء الامانة ، وأشعروا في قرارة

أنفسهم بأنهم أصبحوا خير أمة أخرجت للناس ، فاندفعوا في طريق المجد من غير ضعف ، وحملـوا الخير للانسانية دون تمييز ، وعملوا في هذه الطريق على بصيرة وايمان ، وحققوا لاول مرة في التاريخ وحدة العروبة في أرضهم ، ووحـدة قلوبهم ، بل ووحدة لغتهم ولهجتهم على مثل وحـدة القرآن ووحدة لهجته الى يوم الدين ، وهذا مـا أدخل الاسلام في تاريخ العروبة الخالـدة ، وجعله جزءا لا يتجزأ مـن تاريخ انبعاثها الجديد .

كما تم للعرب بهذا الروح الاسلامي ثانيا ـ أن اختلفت قوميتهم عن عصبية القوميات الاخرى المعروفة من قبل ومن بعـد ، تلك القوميات التي تعمـل وتجتمع وتتموج فقط لخيرها ولصالحها ، وتفتح الارض لاستعمارهـا ، وتسيطر على الامم لاستعبادها ، فان العرب بعد الاسلام قد ارتفعوا بقوميتهم فـوق القوميات ، وأصبحت رابطتهـم القوميـة عنوانا على حمل رسالة انسانية خالدة ، وأداء أمانة تحريرية واجبة .

### قواعد الاسلام الدستورية القائمة على روح السلام في جميع نواحي الحياة

تلك الرسالة الخالدة هي ما جمعها الاسلام في قواعده

الدستورية القائمة على روح السلام في جميع نواحي الحياة:

- في العقيدة أولا ،
- وفي الحياة الخاصة ثانيا ،
- وفي الصلات فيما بين الناس عامة ثالثا ،
- وفي النظام العام رابعا ،
- وفي الحكم خامسا .

### السلام في العقيدة اولا ووقائع ذلك مع المسيحيين

ففي العقيدة فرض دستور الاسلام السلام أولا ما بين العلم والعقل من جهة ، وبين العقيدة من جهة ثانية ، واختص في خطابه الذين يعلمون والذين يعقلون كما مر معنا آنفا ، فقال : « قل هذه سبيلي ، أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » ، وقال أيضا : « نفصل الآيات لقوم يعلمون » ، وقال « كذلك يفصل الآيات لقوم يعقلون » .

وكذلك فرض دستور الاسلام السلام في العقيدة فيما بين أصحاب الاديان فقال : « لا اكراه في الدين » .

وهذا لعمري منتهى ما وصلت اليه البشرية اليوم في دساتيرها الراقية الحرة في سبيل حماية حرية المعتقدات .

مما قد سبقهم اليه الاسلام قبل اربعة عشر قرنا بكل تأكيد .

بل ذهب الى أبعد من ذلك فحض على البر بأبناء الاديان الاخرى مهما كانت عقائدهم ، ما لم يقاتلونا في الدين وما لم يخرجونا من ديارنا ، فقال سبحانه وتعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » ! تبارك الله العظيم ، انه والله لدستور سلم كريم ، لم يسبق أحد اليه من الاولين ، ولا نظن أن أحدا سيلحق به في الآخرين .

وأعطى دليلا عمليا على ذلك حين دخل الاسلام الى مصر وبلاد الشام ووجد النزاع قائما ما بين الكنيسة الغربية في حماية براطرة الرومان وبتشجيعهم ، وبين الكنيسة الشرقية التي لا حماية لها وهي أصل النصرانية ، ومع ذلك فقد كان معظم رجالها يتهمون بالزندقة والالحاد ، فلما حل الحكم الاسلامي محل الحكم الروماني ، لم يثر هذه على تلك ، بل حمى الاثنتين ، ولو كانت كل منهما ضد عقائد الاسلام ، فوقفت الكنيسة الشرقية على رجليها ، ولم تشعر الكنيسة الغربية باضطهاد . وان موقف الاسلام منهما هذا الموقف هو الذي يفسر موقف بطاركة حمص عندما تركهم

أبــو عبيدة فاتح حمص وأراد أن يرد عليهم الجزيــة التي أخذها فأجابوه : « ان عدلكم أحب الينا من ملوكنا » ، ثم أغلقوا ابواب مدينة حمص ضد الرومان منتظرين نتيجــة المعركــة بين المسلمين والرومان ، وداعــين بالنصر للمسلمين على الرومانيين .

بل ذهب الاسلام الى أبعد من ذلك وأعطى لكل منهـــم حكما كنسيا في الشؤون الدينية لم يكن ليعترف به لاحــد منهما من قبل دولة الرومان النصرانية .

ولا بد أن نشير في هذا المقام الى ما سجله مؤرخــو المسيحية أنفسهــم مما لاقتــه الكنيسة الشرقيــة في عهــد الصليبيين من « اقفال الكنائس الشرقية واضطهاد بطارقتها الى أن أحوجوهم أن يفضلوا مــوادة العرب حكام البــلاد الاصليين على موادة الصليبيين » كما صرح بذلــك صاحب كتاب سوسنة سليمان .

### السلام في الحياة الخاصة

وأما في الحياة الخاصة فقــد فرض دستــور الاسلام السلام أيضا ما بين رغبات الانسان ومطالبه في الحياة ، وما بين فكرة الاحسان والصلاح في تلك الرغبات ، فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : ان قوما ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل منهم موضع ، فنقر رجل في موضعه بفأس ، فقالوا له ما تصنع ؟ قال هو مكاني أصنع فيه ما أشاء ! فان أخذوا على يده نجا ونجوا، وان تركوه هلك وهلكوا » وقال القرآن الكريم في لذات الانسان « كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » ، وقال ايضا : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا .. » .

وهكذا لبى الاسلام في ذلك رغبات الانسان ولذاته الشخصية من غير عدوان على أحكام العقل ، ولا حيف على طبيعة الانسان كانسان ، ولم يشترط في الوصول الى الطيبات وزينة الحياة وما آتاه الله للانسان من ملكيةاستخلفه فيها غير الطريق المشروعة ، والعمل الصالح ، وان يحسن فيما آتاه الله كما أحسن الله اليه ، وأن لا يبتغي الفساد في الارض .

وان كل مطلب خاص للانسان يتجاوز هذه الحدود فهو ممنوع عليه ، لانه يخرج الانسان من نطاق السلام الى نطاق البطلان والفساد ، وقد قال الله سبحانه وتعالى في ذلك : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » وقال أيضا : « وابتغ

فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الارض ، ان الله لا يحب المفسدين » ، وقال أيضا : « آمنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .

وبذلك احتفظ الاسلام للانسان بمكانه في الوجود كانسان ، وبحظوظه فيه ، وأباح له ما شاء من الحظوظ ، وما آتاه الله من ملك استخلفه فيه : بشرطين اثنين فقط هما الاحسان وعدم الفساد ، ولم يشأ أن يرتفع بالانسان من عالمه الى عالم ليس هو منه وهو عالم الارواح الخالصة ، ولا أن يهبط به الى عالم الشياطين .

### السلام في الصلات فيما بين الناس عامة

وأما في الصلات فيما بين الناس عامة فقد فرض أيضا دستور الاسلام السلام فيما بينهم ، وقال في سبب جعلهم شعوبا وقبائل انها كانت وسيلة لتسهيل التعارف والتقارب فيما بين الناس ، لا وسيلة ليرتفع بعضهم على بعض ، ويتخذ بعضهم من انفسهم آلهة من دون الله فوق الآخرين . وقد قال القرآن الكريم في ذلك : « انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ، واستل بذلك من نفوس المسلمين ما رسخ في

نفوس جميع الاقدمين والكثيرين من الحديثين من رجحان شعب على شعب في الحقوق والكرامة ، وتجريد الكثيرين من بني الانسان من حقوقهم الحرة في الحياة والسيادة .

### السلام في النظام العام

وأما في النظام العام فقد فرض دستور الاسلام السلام أيضا ما بين الانسان وأخيه الانسان : فلا طبقية ، ولا عرقية ، ولا أجناس ، وقرر المساواة ما بين الجميع فقال رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام في ذلك : « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود ، الا بالتقوى » ، وهذا أيضا منتهى ما تنشده الانسانية اليوم ومفكروها ، ومنتهى ما تعمله على ادخاله في دساتيرها ، كحقوق طبيعية للانسان .

### السلام في الحكم

وأما في الحكم فقد فرض أيضا دستور الاسلام السلام فيما بين الناس في الحكم ، لانه فرض العدل في الحكم والمساواة في الحقوق لجميع من يسوده نظام الاسلام ، ولو لم يكن عربيا او مسلما . وجهرت احكام الاسلام في ذلك لغير العرب ولغير المسلمين قائلة : « لكم ما لهم ، وعليكم ما عليهم » .

### أثر هذه المباديء السلمية فيما بين ابناء العروبة من مسلميـــــن وغيرهم

وبذلك لم يعد هناك من فارق مـا بين أبناء العروبـة مسلمهم وغير مسلمهم في الافتخار بحمل هذه الرسالة الـى ابناء الانسانية لتسود فيهم أحكامها ، كما لا يوجد فـارق اليوم مـا بين ابناء الدولة الواحدة الحديثـة على اختلاف اديانهم ممن يدينون بدساتيرهم المتحررة ويفتخرون بها مـا دامت تقوم على هذه القواعد العامة للانسانية ، والمبـادىء الخالـدة .

### أثر هذه المباديء السلمية فيما بين العرب وغيرهم

وبذلك ايضا لم يعد هناك من فارق ما بين عربي وغير عربي في الافتخار بحمل هذه الرسالة وأدائهـا ، والانضواء تحتها ، والاخذ بمبادئها الدستورية ، والتقديس لمن نـادى بهـا ودعا اليها ، وما تقديس المسلمين غير العرب للعـرب ، والايمان بهم ، والافتخار بالالتحاق بهم ، والانضواء تحت لوائهم ، ممجدين العروبة من غير غل ، ومفتخرين بهـا من غير شك ، الا أثر هـذه العروبة التي بلغت في ظـل البعث الاسلامي كما أراده الله آخر مرحلة من مراحل تطورهـا ، فكانت من قبل الاسلام قومية عربية عصبية كغيرها : يجتمع

أصحابها ليعيشوا لانفسهم ، فأراد الله لها بالاسلام أن تتم مرحلة تطورها الصاعد ، فغدت قومية عربية انسانية ، يجتمع أصحابها ليعيشوا لهم ولغيرهم من الناس ، وبذلك جعلهم خير أمة أخرجت للناس ، وبذلك ارتفعت قوميتهم الى عرش القوميات الخالدة ، بل انفردت به حتى الان دون غيرها من العالمين ، اذ لا نجد وراء العرب وعلى طريقتهم من سار سيرتهم ، والله يؤتي فضله من يشاء ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته .

### خاتمة البحث ووجوب المجاهرة بشخصية الاسلام السلمية

وبعد أيها السادة الكرام ، فهذا هو الاسلام في مبادئه الدستورية ،

فهو سلام في اسمه ،

وسلام في تحيته ،

وسلام في ليلة نزوله ،

وسلام في اسم ربه ،

وسلام في عقيدته ما بين العقل والايمان ،

وسلام فيما بينه وبين أصحاب الاديان ،

وسلام واحسان في مطالب الحياة الخاصة ،

وسلام وبر فيما بين الآخذين بمبادئه وبين سائر الناس ما لم يقاتلوهم في الدين أو يخرجوهم من الديار فانه عندئذ فقط حرب على الظلم والعدوان وذلك أيضا في سبيل السلام،

وهو سلام أيضا في النظام العام فلا طبقية ولا عرقية ولا أجناس ،

وسلام في الحكم وعدل في الحق ما بين العرب وغير العرب ، وما بين المسلمين وغير المسلمين .

وأخيرا ، وبكلمة واحدة : فهو سلام في سلام في سلام .

ونحن اليوم في عهد العلم ، وفي عهد سلطان العقل ، وهو عهد يرحب به الاسلام ، وتحييه مبادىء الاسلام .

فما كان يضرنا بالامس من ضيق العقول ، وجهل المخاطبين ، ويحملنا على اخفاء شخصية الاسلام في شخصية المبادىء الديموقراطية عندما يسود أصحابها ، أو يحملنا على اخفاء شخصية الاسلام في شخصية المبادىء الاشتراكية عندما تشتد سواعد أربابها ، أو كما ذهب البعض الى تلوين شخصية الاسلام بالوان الزعامة في عهد انتصار الزعامة النازية أثناء الحرب العالمية الثانية ،

فما كان يضرنـــا بالامس ، ويحملنا على اخفاء شخصية الاسلام لم يعد يضرنا اليوم ، فقد تفتحت العقول ، وانتصر العلم ، وأصبح العالم أجمع في حضارته الحديثة كأنه أسرة واحدة ، وتشوقت النفوس بعد مـا أصابها من مآسي الفرقة وتناحر المبادىء الى صوت السماء وصوت السلام ، فأعلنوا للعالم مبادىء الاسلام ، وقواعده الدستورية ، كما أشرنـا اليها ، فانها السبيل الوحيدة لضماد جروح الانسانية ، وانها السبيل الوحيدة لجمع الكلمة فيما بين أبنائها والتعـايش فيما بينهم بسلام ، على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم وأديانهم وأعراقهم دون المساس بها ، وأسمعوهم قول السماء : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقـون » ، « ان هـذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » ، « فاستمسك بالذي أوحي اليك ، انك على صراط مستقيم ، وانه لذكر لك ولقومك ، وسوف تسألون » .

---

انتهى طبـع هـذا الكتاب في اليـوم الثلاثين من تشرين اول (اكتوبر) ١٩٦٥ على مطابع مؤسسـة الانتاج الطباعي في بيروت .